

المبحث الأول: القلب السليم

المجموعة الدلالية الأولى: (س ل م)

لفظ هذه المجموعة: سليم.

القلب هو المحرك الرئيس لجوارح الإنسان ، فإن كان قلبا سليما منقادا لتوجيهات الشرع ، وفق لأعمال الخير التي فيها صلاحه و فلاحه في الدارين ، وإن كان قلبا مريضا ظهر الفساد في أعماله فخسر الدنيا والآخرة ، فالقلب كما قال أبو هريرة رضي الله عنه : "ملك والأعضاء جنوده ، فإذا طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث الملك خبثت جنوده " ، فينبغي على المسلم أن يكون حريصا على قلبه بالابتعاد عما يحيد به عن الصراط المستقيم .

وكثيرة النصوص القرآنية التي ذكر فيها القلب وصفاته وأحواله .

وبعد استقراء صفات القلوب التي وردت في القرآن الكريم ، تبين أن هناك العديد من صفات القلوب ، فهناك صفات للقلوب السليمة ، وصفات للقلوب المريضة ، وسأتناول في هذا الفصل صفات القلوب السليمة .

ذكر لفظ سليم في القرآن الكريم مرتين مقترنا بالقلب .

سلم لغة: (س ل م) : (سَلِمَ) خَلَصَ وَنَجَا مِنْ الْأَفَاتِ فَهُوَ سَالِمٌ^(١) السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. وَالسَّلَامُ الْبِرَاءَةُ مِنَ الْغُيُوبِ^(٢) وَقَلْبٌ سَلِيمٌ أَيُّ سَالِمٌ^(٣). معظم بابه من الصحة والعافية فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة و الأذى (٤). وهو الذي لم يشرك بالله قط^(٥).
سلم اصطلاحاً:

سليم: قلب سليم: خالص من الشرك والذنوب^(٦). وهو أيضاً: الإسلام، وهو التسليم لله بلا منازعة، وهو جعل كل شيء عين وعرض، مخلوقاً لله تعالى، واعتقاد أنه تعالى موجود بلا بداية ولانهاية، موصوف بالصفات الحسنة^(٧).

ومن أسباب السلامة حمل النفس على الطاعات وأعمال الخير، وتركيتها من الشرور والآثام^(٨)، قال تعالى: "قد أفلح من زكاهها، وقد خاب من دساها"^(٩).

ورد لفظ سليم في القرآن الكريم كصفة من صفات القلوب بمعنى: خالص من الشرك والذنوب^(١٠).
(سَلِيمٌ):

ورد لفظ سَلِيمٍ مقترناً بالقلب مرتين في القرآن الكريم^(١١):

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (١٢) .

(١) المصباح المنير ١/٤٣٧، ٣٤٨.

(٢) مختار الصحاح، (سلم)، ٣١١.

(٣) مقاييس اللغة ٣/٩١.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ١/٣٣٨.

(٥) الأضداد، عبد الملك بن قريش الباهلي الأصبغي ١/٣٨.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ١/٥٨٨.

(٧) الكليات ٤٢٦.

(٨) المنظومة التبريزية في العقيدة الصحيحة السنية، ١/٢٧.

(٩) سورة الشمس: ٩: ١٠.

(١٠) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ١/٦١٢.

(١١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ١/٥٨٨، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ٣٥٦.

(١٢) سورة الشعراء: ٨٩.

أتى: الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول^(١٣) الآتي إليك لا يكون شيء من بدنه عند غيرك^(١٤).

الماوردي: قوله تعالى: {بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} فيه خمسة أوجه: أحدها: سليم من الشك، الثاني: سليم من الشرك، الثالث: من المعاصي، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح. الرابع: أنه الخالص، الخامس: أنه الناصح في خلقه، ويحتمل سادساً: سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرى عند المعايينة^(١٥).

السمعاني: قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ: سَلِيمٌ مِنَ الشَّرْكِ، فَإِنَّ الْآدَمِيَّ لَا يَخْلُو مِنْ ذَنْبٍ، وَقِيلَ: مُخْلِصٌ، وَقِيلَ: نَاصِحٌ، وَقِيلَ: قَلْبٌ فِيهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(١٦).

ابن عباس: خَالِصٌ مِنَ الذَّنْبِ وَحُبُّ الدُّنْيَا وَيُقَالُ سَلِيمٌ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١٧)، قالوا: هو السليم مما سوى الله، أو مما سوى عبادة الله، أو مما سوى إرادة الله، أو مما سوى محبة الله، فالمعنى واحد^(١٨).

بل لا ينفع إلا الموافاة بقلب سليم من مرض الكفر والنفاق والخصال المذمومة والملكات المشؤومة^(١٩).

القلب السليم هو القلب الخالي من الوهم والشهوة والضلال^(٢٠).

وإنما أضاف إلى القلب، لأن الجوارح تابعة للقلب، فتسلم بسلامته، وتفسد بفساده^(٢١).

(١٣) بصائر ذوي التمييز ٢/٤١٣.

(١٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٦/٢٥٢.

(١٥) تفسير الماوردي، ٤/١٧٧.

(١٦) تفسير السمعي، ٤/٥٥. لطائف الإشارات تفسير القشيري، ٣/١٥.

(١٧) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ١/٣١٠.

(١٨) شرح رسالة العبودية لابن تيمية، ١٠/٧.

(١٩) تفسير القاسمي، ٧/٤٦٣.

(٢٠) زهرة التفاسير / ١٠/٥٣٧، الموسوعة القرآنية، ١٠/٤٣٧، تفسير الشعراوي، ١٧/١٠٦٠٣، أيسر

التفاسير: اسعد حومد، ١/٢٩٠٣، المنتخب في تفسير القرآن، ١/٥٥٠، مختصر تفسير ابن

كثير، ٢/٦٥١، التفسير المنير للزحيلي، ١٩/١٧٣...

(٢١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٢٠/٢٤٨، المختصر في تفسير

القرآن، ١/٣٧١، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، ٣/٣٢٧..

فسلامة القلب هي التي تنفع الإنسان ، فلا فائدة من مال وبين إن لم يكن هناك قلب سليم ، سليم من الشرك والشك والمعاصي والخالي من بغض أصحاب النبي وسليم من الكفر والنفاق ، فهذه التفاسير للفظ سليم تتكامل ولا تعارض بينها ، لكن تفسير أن السليم الخالص من الذنب فَإِنَّ الْآدَمِيَّ لَا يَخْلُو مِنْ ذَنْبٍ .

قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٢٢).

والجَيِّئَةُ والمَجِيءُ بمعنى الإتيان لكن المَجِيءُ أعم؛ لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمَجِيءُ يقال اعتباراً بالحصول. وقد يقال: جاء في الأعيان والمعاني، ورتباً يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً (٢٣).

{إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} أي مستسلم مفوض إلى ربه بكل حال راجع لسره (٢٤).

سليم عن جميع ما يمنعه من الإجابة لربه فيما دعاه، والصبر على ما امتحنه وابتلاه، والله أعلم (٢٥). أي: سليم من الشركة، لم يلعن شيئاً قط والناصح لله في خلقه. وقيل: القلب السليم الذي يحب للناس ما يحبه لنفسه، قد سلم جميع الناس من غشه وظلمه وأسلم لله بقلبه ولسانه ولا يعدل به غيره (٢٦) ، ولا آفة فيه. ويقال لديغ من المحبة. ويقال: سليم من محبة الأغيار. ويقال سليم من حظوظ نفسه وإرادته. ويقال: مستسلم لله في قضائه واختياره (٢٧)، وخالص من كل عيب (٢٨).

(٢٢) سورة الصافات: ٨٤.

(٢٣) بصائر ذوي التمييز ٢/٤١٣.

(٢٤) تفسير التستري ١/١٣١.

(٢٥) تفسير الماتريدي ٨/٥٧٢.

(٢٦) الهداية إلى بلوغ النهاية ٩/٦١٢٢، تفسير الماوردي ٥/٥٤، الوجيز للواحدي ١/٩١١، تفسير

السمعاني ٤/٤٠٣، تفسير البغوي ٧/٤٤، تفسر الزمخشري = الكشاف، ٤/٤٨، إيجاز البيان عن معاني

القرآن ٢/٧٠١، زاد المسير ٣/٥٤٤، تفسير الرازي ٢٦/٣٤١، تفسير العز بن عبد السلام

٥٨/٣، تفسير القرطبي ١٥/٩١، تفسير البيضاوي ٥/١٣.

(٢٧) لطائف الإشارات = تفسير القشيري ٣/٢٣٥، تفسير النسفي ٣/١٢٨، تفسير ابن كثير ٧/٢٤،

(٢٨) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١/٣٧٧،

{إذا} أي حين {جاء ربه} أي المحسن في تربيته {بقلب سليم} أي بالغ السلامة عن حب غيره، والمجيء مجاز عن الإخلاص الذي لا شائبة فيه كما أن الآتي إليك لا يكون شيء من بدنه عند غيرك (٢٩).

وسالم عن جميع الميول الباطلة والآراء الفاسدة (٣٠).

وسليم من آفات القلوب أو من العلائق الشاغلة عن التبتل إلى الله عز وجل (٣١) وأقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب، باق على الفطرة، سليم عن النقائص والآفات، محافظ على عهد التوحيد الفطري، منكر على من غير وبدل (٣٢).

والباء في بقلب سليم للمصاحبة، أي جاء معه قلب صفته السلامة فيؤول إلى معنى: إذ جاء ربه بسلامة قلب، وإنما ذكر القلب ابتداءً ثم وصف ب سليم لما في ذكر القلب من إحصار حقيقة ذلك القلب التزيه، ولذلك أوتر تنكير «قلب» دون تعريف. وسليم: صفة مشبهة مشتقة من السلامة وهي الإخلاص من العليل والأدواء لأنه لما ذكر القلب ظهر أن السلامة سلامته مما تصاب به القلوب (٣٣).

وقد جمع قوله: بقلب سليم جوامع كمال النفس وهي مصدر محامد الأعمال، وفي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (٣٤).

فهذه قصة إبراهيم الذي أقبل على طاعة ربه بقلب خالص من الشرك والشك. وقيل: من الغل، والغش، والحقد، والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه، و خالص من جميع آفات القلوب، و سليم من العلائق .

السورتان التي ورد فيهما لفظ سليم مكية، وسلامة القلب تعددت معانيها وتنوعت لإظهار سعة السلامة وأهميتها.

(٢٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/٢٥٢.

(٣٠) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ٢/٢١٧.

(٣١) تفسير أبي السعود ٧/١٩٧، روح البيان ٧/٤٦٩، البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد ٤/٦٠٥، فتح

القدر للشوكاني ٤/٤٦٠، فتح البيان ١١/٤٠٠.

(٣٢) تفسير القاسمي ٨/٢١٥، تفسير المراغي ٢٣/٦٨، تفسير السعدي ١/٧٠٥، التفسير القرآني

للقرآن ١٢/٩٩٥.

(٣٣) سورة الأخفاف: ٣١.

(٣٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/٢٨ (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة،

باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩ (١٥٩٩)

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت لفظا واحدا، تكرر في آيتين، توزعت في الجدول على النحو الآتي:

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	سليم	٢	سورة الشعراء: ٨٩. سورة الصافات: ٨٤.

المبحث الثاني: القلب المنيب

المجموعة الدلالية: (ن و ب)

ألفاظ هذه المجموعة: أناب . أنابوا . أنبنا . أنيب . ينيب . أنيبوا . منيب . منيبا . منيبين . وقد ذكر لفظ الإنابة في القرآن الكريم (١٨) مرة، منها: (٥) مرات بصيغة الجمع: أنابوا مرة واحدة، أنبنا مرة واحدة، أنيبوا مرة واحدة، منيبين مرتين . و(١٣) مرة بصيغة المفرد: أناب (٤) مرات، أنيب مرتين، وينيب مرتين، ومنيب (٤) مرات، ومنيبا مرة واحدة.

إنابة القلب وردت في القرآن في موضع واحد.

وأهل الإنابة هم أهل النظر والتذكر ومتوكلون على الله، ويهديهم الله، ويخشون الرحمن بالغيب.
الإنابة لغة:

تدور مادة (ن و ب) حول الرجوع. يقول ابن فارس «التون والواو والباء كلمة واحدة تدلّ على اعتياد مكان ورجوع إليه»^(٣٥). تقول: أناب فلان إلى الشيء، رجع إليه مرة بعد أخرى، وإلى الله تاب ورجع»^(٣٦). وقال الراغب «الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل»^(٣٧). أي راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شيء من أمره. أي توبوا إليه وارجعوا. وقال الجوهري: «أناب إلى الله أي أقبل وتاب»^(٣٨).

وقال ابن الأثير: يقال أناب ينيب إنابة، فهو منيب، إذا أقبل ورجع، وفي حديث الدعاء: «وإليك أنيب»^(٣٩).

الإنابة اصطلاحاً:

الإنابة: إخراج القلب من ظلمات الشبهات. وقيل: الإنابة: الرجوع من الكلّ إلى من له الكلّ.

^(٣٥) تهذيب اللغة ١٥/٣٥٠، مقاييس اللغة (٥/٣٦٧).

^(٣٦) المعجم الوسيط (٢/٩٦١)

^(٣٧) المفردات (نوب) (٥٠٨).

^(٣٨) انظر: الصحاح، للجوهري (١/٢٢٩)، والنهاية، لابن الأثير (٥/١٢٣)، ولسان العرب، لابن منظور (١/٧٧٥).

^(٣٩) النهاية، لابن الأثير (٥/١٢٣)

وقيل: الإنابة: الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأنس.

وقال الكفوي: الإنابة: الرجوع عن كل شيء إلى الله تعالى^(٤٠).

وقال ابن القيم: الإنابة: الإسراع إلى مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له^(٤١).

أنواع الإنابة:

الإنابة إنابتان: إنابة لربوبيته. وهي إنابة المخلوقات كلها. يشترك فيها المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر. قال الله تعالى: "وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ"^(٤٢)، فهذا عام في حق كل داء أصابه ضرر. كما هو الواقع. وهذه «الإنابة» لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر. كما قال تعالى في حق هؤلاء: "ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ"^(٤٣)، فهذا حالهم بعد إنابتهم.

والإنابة الثانية. إنابة أوليائه. وهي إنابة لإلهيته إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. فلا يستحق اسم «المنيب» إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع. وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك^(٤٤).

(قال ابن القيم - رحمه الله -: «الإنابة هي عكوف القلب على الله - عز وجل - كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته، وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده، عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه^(٤٥). "ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون"^(٤٦)).

منزلة الإنابة^(٤٧).

(٤٠) التعريفات (٣٩)، والكلبيات للكفوي (٣٠٨).

(٤١) نضرة النعيم ٣/٥٤٠. مدارج السالكين، لابن القيم (١/٤٦٧) بتصرف.

(٤٢) سورة الروم: ٣٣.

(٤٣) سورة الروم: ٣٣، ٣٤.

(٤٤) نضرة النعيم، ٣/٥٤١.

(٤٥) الفوائد لابن القيم، ١٦٩.

(٤٦) سورة الأنبياء: ٥٢.

(٤٧) نضرة النعيم، ٣/٥٤١.

قال ابن القيم: «من نزل في منزل التوبة، وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام، فإذا استقرت قدمه في منزل التوبة نزل بعده في منزل الإنابة، وقد أمر الله تعالى بها في كتابه، وأثنى على خليله بها، فقال: "وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ" (٤٨)، وقال: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ" (٤٩).
وأخبر أن آياته إنما يتبصر بها ويتذكر، أهل الإنابة. فقال: "أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا" إلى أن قال تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٥٠).
وقال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ" (٥١)،
كما أخبر تعالى أن ثوابه وجنته لأهل الخشية والإنابة. فقال: "وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ*
هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
(٥٢)".

وأخبر سبحانه أن البشرى منه، إنما هي لأهل الإنابة فقال: "وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ
يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَىٰ اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ" (٥٣).

الإنابة صفة النبيين والمؤمنين:

قال تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ" (٥٤).

قال تعالى: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا
نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاطُكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) (٥٥).

الإنابة إلى الله في الضر وتركه في الرخاء ليس من دأب المؤمنين:

(٤٨) سورة الزمر: ٥٤.

(٤٩) سورة هود: ٧٥.

(٥٠) سورة ق: ٦، ٧.

(٥١) سورة غافر: ٣١.

(٥٢) سورة ق: ٣١، ٣٤.

(٥٣) سورة الزمر: ١٧.

(٥٤) سورة هود: ٧٥.

(٥٥) سورة هود: ٨٧، ٨٨.

قال تعالى: " وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) (٥٦) .

قال تعالى: " وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) (٥٧) .
والبشرى: ثمرة الإنابة والهداية أيضا:

قال تعالى: " وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ (٢٧) " (٥٨) .

قال تعالى: " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) " (٥٩) .

قال تعالى: " وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) (٦٠) .

. (أَنَابَ):

ورد لفظ أَنَابَ في القرآن الكريم أربع مرات :

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ﴾ (٦١) .

الهُدَى: نقيض الضلالة. وَيُقَالُ: هُدِيَ فَاهْتَدَى (٦٢) .

(٥٦) . سورة الروم: ٣٣

(٥٧) سورة الزمر: ٨ .

(٥٨) سورة الرعد: ٢٦ : ٢٧ .

(٥٩) سورة الشورى: ١٣ .

(٦٠) سورة الزمر: ١٧ .

(٦١) سورة الرعد: ٢٧ .

(٦٢) تهذيب اللغة ٦/ ٢٠١ .

أَيُّ: يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ بِالْإِنَابَةِ. وَقِيلَ: يُرْشِدُ إِلَى دِينِهِ مَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ^(٦٣). نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل آيات الأنبياء. قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَيُّ: يَرُدُّهُ عَنِ الْهُدَى كَمَا رَدَّكُمْ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ مِنَ الْآيَاتِ وَحَرَّمَكَمُ الْاِسْتِدْلَالَ بِهَا، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ أَيُّ: رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الْحَقِّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ رَجُوعَهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ^(٦٤). اَعْلَمُ أَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ كُنْتَ رَسُولًا فَأْتِنَا بِآيَةٍ وَمُعْجِزَةٍ قَاهِرَةٍ ظَاهِرَةٍ مِثْلَ مُعْجِزَاتِ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فَأَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِقَوْلِهِ: قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ^(٦٥). وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ أَقْبَلَ إِلَى الْحَقِّ وَرَجَعَ عَنِ الْعِنَادِ، وَهُوَ جَوَابٌ يَجْرِي مَجْرَى التَّعْجِبِ^(٦٦) مِنْ قَوْلِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةَ الْمُتَكَثِرَةَ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُصَوِّرَ مُشْتَبِهًا عَلَى الْعَاقِلِ فَلَمَّا طَلَبُوا بَعْدَهَا آيَاتٍ أُخْرَى كَانَتْ فِي مَوْضِعِ التَّعْجِبِ وَالِاسْتِنْكَارِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: مَا أَعْظَمَ عِنَادَكُمْ {إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ} مِنْ كَانَ عَلَى صَنِيعِكُمْ مِنَ التَّصْمِيمِ عَلَى الْكُفْرِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى هِدَايَتِكُمْ وَإِنْ نَزَلَتْ كُلُّ آيَةٍ: «وَيَهْدِي» مِنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ صَنِيعِكُمْ^(٦٧).
لَمَّا طَلَبُوا سَائِرَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: لَا فَائِدَةَ فِي ظُهُورِ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ، فَإِنَّ الْإِضْلَالَ وَالْهُدَايَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَوْ حَصَلَتْ الْآيَاتُ الْكَثِيرَةُ وَلَمْ تَحْصُلِ الْهُدَايَةُ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْصُلِ الْاِنْتِفَاعُ بِهَا.

والضمير في «إليه» عائد على الله، أي: إلى دينه وشرعه. وقيل على الرسول صلوات الله وسلامه عليه. وقيل: على القرآن^(٦٨).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جُهِدَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٩).

(٦٣) تفسير البغوي ٢٠/٣، الوجيز للواحد ٥٧١/١، تفسير السمعاني ٩١/٣، تفسير الزمخشري ٥٢٨/٢، تفسير ابن عطية ٣١١/٣.

(٦٤) زاد المسير في علم التفسير ٤٩٣/٢.

(٦٥) تفسير الرازي ٣٩/١٩.

(٦٦) تفسير البيضاوي ١٨٧/٣، تفسير النسفي ١٥٤/٢.

(٦٧) الباب في علوم الكتاب ٢٩٩/١١.

(٦٨) السابق ٣٠٠/١١.

(٦٩) سورة لقمان: ١٥.

السَّبِيلُ الطَّرِيقُ وما وَضَحَ منه يَذَكِّرُ وَيُؤَنِّثُ وَسَبِيلُ اللَّهِ طَرِيقُ الْهُدَى الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ (٧٠) وهو الطَّرِيقُ الَّذِي فِيهِ سَهْوَةٌ، وَجَمَعَهُ سُبُلٌ (٧١).

الماوردي: {وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} قال يحيى بن سلام: من أقبل بقلبه مخلصاً وهو النبي صلى الله عليه السلام والمؤمنون. روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: حلفت أم سعد ألا تأكل ولا تشرب حتى يتحول سعد عن دينه فأبى عليها فلم تزل كذلك حتى غشى عليها ثم دعت الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية (٧٢).

ابن عطية: وقوله تعالى: "وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ"، وصية لجميع العالم كأن المأمور الإنسان، وأناب معناه، مال ورجع إلى الشيء، وهذه سبيل الأنبياء والصالحين (٧٣). صفوة التفاسير: {وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} أي واسلك طريق من رجع إلى الله بالتوحيد والطاعة والعمل الصالح (٧٤).
{وَاتَّبَعَ سَبِيلَ} أي: دين {مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} أقبل على طاعتي، وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه (٧٥).

قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجَةٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٧٦).

معنى خَرَّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو (٧٧).

قال أي داود لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ أي طلب نعتك التي أنت أحوج إليها ليضمها إلى نِعَاجِهِ أي مع استغائه عن هذا الضم وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ أي الإخوان الأصدقاء المتخالطين في شؤونهم لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أي بغى الأعداء. مع أن واجب حقهم النصفة على الأقل. إن لم

(٧٠) المحكم والمحيط الأعظم ٨/٥٠٦.

(٧١) المفردات في غريب القرآن ١/٣٩٥.

(٧٢) تفسير الماوردي ٤/٣٣٧، تفسير الطبري ٢٠/١٣٩، الهداية إلى بلوغ النهاية ٩/٥٧٢٥.

(٧٣) تفسير ابن عطية ٤/٣٤٩، البحر المحيط ٨/٤١٤، تفسير ابن كثير ٦/٣٣٧، اللباب، ١٥/٤٤٦، الموسوعة

القرآنية ١٠/٥٢٧.

(٧٤) صفوة التفاسير ٢/٤٥٢.

(٧٥) فتح الرحمن في تفسير القرآن ٥/٣٠٧، حدائق الروح والريحان ٢٢/٢٤٦.

(٧٦) سورة ص: ٢٤.

(٧٧) المفردات ١/٢٧٧.

يقوموا بفضيلة الإيثار إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَي فَإِنَّهُمْ لَا يَبْغُونَ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ أَي وَهُمْ قليل. و (ما) مزيدة للإبهام والتعجيب من قلتهم.

قال الشهاب: فيه مبالغة من وجوه: وصفهم بالقلّة، وتنكير (قليل) وزيادة (ما) الإبهامية. والشيء إذا بولغ فيه كان مظنة للتعجب منه. فكأنه قيل: ما أقلهم^(٧٨).

وَحَزْرٌ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ أَي مَا اسْتَغْفَرَ مِنْهُ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى أَي لِقَرِيبًا وَحُسْنَ مَآبٍ أَي مَرْجَعًا حَسَنًا وَكَرَامَةً، فِي الْآخِرَةِ^(٧٩).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٨٠).

جسد: الجسد كالجسم لكنه أخصّ، قال الخليل رحمه الله: لا يقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه، وأيضاً فإنّ الجسد ما له لون^(٨١).

السمرقندي: تأويل الآية والله أعلم: أن سليمان كان له ابن، فجاء ملك الموت يوماً زائراً لسليمان، فرآه ابنه فخافه، وتغيّر لونه، ومرض من هيئته، فأمر سليمان - عليه السلام - الريح بأن تحمّل ابنه فوق السحاب ليزول ذلك عنه، فلما رفعت الريح فوق السحاب، ودنا أجله، فقبض ابنه، وألقى على كرسيه فذلك قوله: وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً يعني: ابنه الميت. قال: والدليل على ذلك أن الجسد في اللغة هو الميت الذي لا يأكل الطعام، والشراب، كالميت ونحوه.

وذكر أن سليمان جزع على ابنه، إذ لم يكن له إلا ابن واحد، فدخل عليه ملكان، فقال أحدهما: إن هذا مشى في زرعي فأفسده. فقال له سليمان: لم مشيت في زرعي؟ فقال: لأن هذا الرجل زرع في طريق الناس، ولم أجد مسلماً غير ذلك. فقال سليمان للآخر: لم زرعت في طريق الناس، أما علمت أن الناس لا بد لهم من طريق يمشون فيه؟ فقال لسليمان: صدقت. لم ولدت على طريق الموت أما علمت أن ممر الخلق على الموت؟ ثم غابا عنه. فاستغفر سليمان فذلك قوله: ثُمَّ أَنَابَ يعني: تاب ورجع إلى طاعة الله عز وجل^(٨٢).

(٧٨) تفسير القاسمي ٢٤٧/٨.

(٧٩) السابق ٨: ٢٤٨.

(٨٠) سورة ص: ٣٤.

(٨١) المفردات ١/ ١٩٦.

(٨٢) تفسير السمرقندي، ٣/ ١٦٨، تفسير الماوردي، ٥/ ٩٨.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسیه^(٨٣).

فوضع في حجره فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون وأما ما يُروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود^(٨٤).

(أناؤوا):

ورد لفظ أناؤوا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَّبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾^(٨٥).

والطاغوت: الكاهن والشيطان، وكلُّ رأسٍ في الضلالة^(٨٦).

الماوردي: قوله عز وجل: {والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها} فيه قولان: أحدهما: أن الطاغوت الشيطان ، الثاني: الأوثان ، وفيه وجهان: أحدهما: أنه اسم أعجمي مثل هاروت وماروت. الثاني: عربي مشتق من الطغيان. {وأناؤوا إلى الله} فيه وجهان: أحدهما: أقبلوا إلى الله ، الثاني: استقاموا إلى الله ، ويحتمل ثالثاً: وأناؤوا إلى الله من ذنوبهم {لهم البشرى} فيه وجهان: أحدهما: أنها الجنة ، الثاني: بشرى الملائكة للمؤمنين ، ويحتمل ثالثاً: أنها البشرى عند المعاينة بما يشاهده من ثواب عمله^(٨٧).

ابن عادل الحنبلي: الذين اجتنبوا الطاغوت أي عرضوا عن عبادة ما سوى الله وأناؤوا أي رجعوا بالكلية إلى الله وأقبلوا بالكلية على عبادة الله. ثم إنه تعالى وعد هؤلاء بأشياء:

أحدها: قوله: {لهم البشرى} وهذه البشرى تحصل عن القرب من الموت وعند الوضع في القبر، وعند الخروج من القبر، وعند الوقوف في عرصة القيامة وعند ما يصير فريق في الجنة وفريق

(٨٣) تفسير النسفي، ٣/١٥٥.

(٨٤) السابق، ٣/١٥٦.

(٨٥) سورة الزمر: ١٧.

(٨٦) الصحاح تاج اللغة ٦/٢٤١٣.

(٨٧) تفسير الماوردي، ٥/١٢٠.

في السعير، ففي كل موضع من هذه المواضع تحصل البشارة بنوع من الخير، وهذا المُبَشَّرُ يحتمل أن يكون هم الملائكة عند الموت (٨٨).
(. أَنْبَأْنَا):

ورد لفظ أَنْبَأْنَا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿..... رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٨٩).

وكل: التَّوَكُّيلُ: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك (٩٠).

الطنطاوي: أي: يا ربنا عليك وحدك فوضنا أمورنا، وإليك وحدك قبول توبتنا، وإليك لا إلى أحد سواك مرجعنا ومصيرنا (٩١).

رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ تقديم ما حقه التأخير، وهو الجار والمجرور على ما بعده لإفادة الحصر. معنى تَوَكَّلْنَا فوضنا أمرنا إليك. أَنْبَأْنَا رجعنا وتبنا. الْمَصِيرُ المرجع والمآب (٩٢).

(.أُنْيَبُ):

ورد لفظ أُنْيَبُ في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنْيَبُ﴾

(٩٣).

التَّوَكُّيلُ: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك (٩٤).

السمعاني: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} اسْتَدَلَّ مِنْ مَنَعِ الْقِيَاسِ فِي الْحَوَادِثِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: الْحُكْمُ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى رَأْيِ الرَّجَالِ، وَكَذَلِكَ كَانَ الْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْكَرُوا الْحُكْمَيْنِ، وَهَذَا الْإِسْتِدْلَالُ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ عِنْدَنَا مِنْ قَالٍ بِالْقِيَاسِ وَالْإِجْتِهَادِ فَهُوَ رُجُوعٌ إِلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ، فَإِنْ أَصُولُ الْمَقَائِيسَاتِ هِيَ: الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ (٩٥).

(٨٨) الباب في علوم الكتاب، ٤٩٢/١٦.

(٨٩) سورة الممتحنة: ٤.

(٩٠) المفردات في غريب القرآن ٨٨٢/١.

(٩١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ٣٣١/١٤، صفوة التفاسير، ٣٤٣/٣.

(٩٢) صفوة التفاسير، ٣٤٣/٣.

(٩٣) سورة الشورى: ١٠.

(٩٤) المفردات في غريب القرآن ٨٨٢/١.

(٩٥) تفسير السمعي ٦٥/٥.

ابن عطية: المعنى: قل لهم يا محمد: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ تَكْذِيبٍ وَتَصْديقٍ وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَالْحَكْمُ فِيهِ وَالْمَجَازَاةُ عَلَيْهِ لَيْسَتْ إِلَيَّ وَلَا بِيَدِي، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي صِفَاتُهُ مَا ذَكَرَ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَالْقُدْرَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: ذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي وَعَلَيْهِ تَوَكَّلِي وَإِلَيْهِ إِنَابَتِي (٩٦)

{أُنِيبُ} أي أرجع بالتوبة إذا قصرت في شيء من فروع شرعه وأرجع إلى كتابه إذا نابني أمر من الأمور، فأعرف منه حكمه فافعلوا أنتم كذلك، اجعلوه الحكم تفلحوا، ولا تعدلوا عنه في شيء من الأشياء تهلكوا (٩٧).

قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٩٨).

الوفاق: الموافقة. والتوافق: الاتفاق والتظاهر (٩٩).

والتوفيق فعل ما تنفق معه الطاعة وإذا لم تنفق معه الطاعة لم يسم توفيقاً (١٠٠). وَفَقَّهُ اللَّهُ تَوْفِيقًا سَدَّدَهُ وَوَفَّقَ أَمْرَهُ يَفْقُ بِكَسْرَتَيْنِ مِنَ التَّوْفِيقِ (١٠١)

ابن عباس: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ} يَقُولُ إِنِّي {عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} عَلَىٰ بَيَانٍ نَزَلَ مِنْ رَبِّي {وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} أَكْرَمَنِي بِالنُّبُوَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَأَعْطَانِي مَا لَا حَلَالَ لَا {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ} يَقُولُ مَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ مِنَ الْبَخْسِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ {إِنْ أُرِيدُ} مَا أُرِيدُ {إِلَّا الْإِصْلَاحَ} الْعَدْلَ بِالْكَيْلِ وَالْوَزْنَ {مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي} بِوَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ {إِلَّا بِاللَّهِ} مِنَ اللَّهِ {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} فَوَضَّ أَمْرِي إِلَيْهِ {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أَقْبَلَ (١٠٢).

أبو السعود: {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أي أرجع فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقاً لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدأيته ومعاونته عليه توكلت وهو إشارة إلى محض

(٩٦) تفسير ابن عطية ٢٨/٥، تفسير القرطبي ١٦/٧، تفسير البيضاوي ٧٧/٥.

(٩٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٥٦/١٧.

(٩٨) سورة هود: ٨٨.

(٩٩) الصحاح تاج اللغة ١٥٦٧/٤.

(١٠٠) الفروق اللغوية ٢١٧/١.

(١٠١) المصباح المنير ٦٦٧/٢.

(١٠٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ١٩٠/١. الجلالين، ١٢٩٨.

التوحيد الذاتي والفعلية وإليه أنيب أي عليه أقبل في مجامع أموري وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي الأنسب للثبوت والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار (١٠٣).

. (يُنِيبُ):

ورد لفظ يُنِيبُ في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٠٤).

السمعاني: قَوْلُهُ تَعَالَى: { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ } أَي: عبره ودلائله.

وقوله: { وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا } أَي: المَطَر؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الْأَرْزَاقِ.

وقوله: { وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } أَي: وَمَا يَتَعَطَّ إِلَّا مَنْ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ (١٠٥).

ابن كثير: { وَمَا يَتَذَكَّرُ } أَي: يَعْتَبِرُ وَيَتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا { إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } أَي: مَنْ هُوَ بَصِيرٌ مُنِيبٌ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ (١٠٦).

القشيري: « وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ » : يرجع من العادة إلى العبادة، ومن الشك إلى اليقين، ومن الخلق إلى الحق، ومن الجهل إلى العلم، ومن التكررة إلى العرفان (١٠٧).

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٠٨).

يَقُولُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } ، فَذَكَرَ أَوَّلَ الرُّسُلِ بَعْدَ آدَمَ وَهُوَ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرُهُمْ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مَنْ أُولَى الْعَزْمِ وَهُمْ: إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (١٠٩).

(١٠٣) تفسير أبي السعود ٤/٢٣٤.

(١٠٤) سورة غافر: ١٣.

(١٠٥) تفسير السمعاني ٥/١٠، تفسير البغوي ٤/١٠٨.

(١٠٦) تفسير ابن كثير ٧/١٣٤.

(١٠٧) تفسير القشيري ٣/٢٩٩.

(١٠٨) سورة الشورى: ١٣.

(١٠٩) تفسير ابن كثير ٧/١٩٤.

وفي {شَرَعَ لَكُمْ} أربعة أوجه: أحدها: سن لكم. الثاني: بين لكم. الثالث: اختار لكم ، الرابع: أوجب عليكم. {مِنَ الدِّينِ} يعني الدين. وفي {مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} وجهان: أحدهما: تحريم الأمهات والبنات والأخوات، لأنه أول نبي أتى أمته بتحريم. ذلك^(١١٠).

الثاني: تحليل الحلال وتحريم الحرام ، {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} فيه وجهان: أحدهما: اعملوا به ، الثاني: ادعوا إليه دين الله في طاعته وتوحيده واحد. ويحتمل وجهاً ثالثاً: جاهدوا عليه من عانده. {وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} وفيه وجهان: أحدهما: لا تتعادوا عليه ، وكونوا عليه إخواناً ، الثانية: لا تختلفوا فيه فإن كل نبي مصدق لمن قبله ، {كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} من شهادة أن لا إله إلا الله. ويحتمل أن يكون من الاعتراف بنبوته ، لأنه عليهم أشد وهم منه أنفر. {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ} الآية. فيه وجهان: أحدهما: يجتبي إليه من يشاء هو من يولد على الإسلام. {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} هو من يسلم من الشرك ، الثاني: يستخلص إليه من يشاء. ويهدي إليه من يقبل على طاعته^(١١١).
(أَنْبِئُوا):

ورد لفظ أَنْبِئُوا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^(١١٢).

السمعاني: قَوْلُهُ تَعَالَى {وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ} مَعْنَاهُ: وَارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَقَوْلُهُ: {وَأَسْلِمُوا لَهُ} أَي: وَأَخْلَصُوا لَهُ، وَيُقَالُ: وَاسْتَسْلِمُوا لَهُ، وَقَوْلُهُ: {مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ} أَي: لَا تَمْنَعُونَ^(١١٣).

ابن عباس: {وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ} أَقْبِلُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْكُفْرِ {وَأَسْلِمُوا لَهُ} آمَنُوا بِاللَّهِ وَاطْبَعُوا اللَّهَ {مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ} لَا تَمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي وَحْشِي وَأَصْحَابِهِ^(١١٤).

^(١١٠) تفسير الماوردي ١٩٦/٥ .

^(١١١) السابق/١٩٧، تفسير البغوي ١٢٨/٧، اللباب في علوم الكتاب ١٦/٥٣١ ..

^(١١٢) سورة الزمر: ٥٤ .

^(١١٣) تفسير السمعي ٤٧٦/٤ .

^(١١٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٣٩٠/١ .

{وأنيبوا} أي ارجعوا بكلياتكم ووكلوا حوائجكم وأسندوا أموركم واجعلوا طريقكم {إلى} ولفظ الكلام إلى صفة الإحسان زيادة في الاستعطاف فقال: {ربكم} أي الذي لم تروا إحساناً إلا وهو منه (١١٥).

.(مُنِيبٌ):

ورد لفظ مُنِيبٌ في القرآن الكريم أربع مرات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ (١١٦).

وهي صفات ثلاث من مكارم الأخلاق، ولكن المجرمين من قوم لوط فجروا فارتكبوا فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

الصفة الأولى: لإبراهيم عليه السلام: الحلم فهو لا يتعجل العقاب بل يريد للمجرم فرصة للانخلاع من ذنوبه فهو يؤثر السماحة على العقاب.

الصفة الثانية: أنه مرهف الإحساس كثير التأوه من الشعور بالخطأ، وإن لم تكن خطيئة ولا ذنب، ومعاذ الله أن يكون خليل الله تعالى أثيماً، وإنما هي قوة الإحساس والخشوع في جنب الله تعالى.

الصفة الثالثة: أنه منيب أي راجع إلى الله تعالى فهو لا يفترق عن ربه إلا في محبة مُدنية مقربة. وإن الله تعالى يأمره بالإعراض عن الدفاع عنهم فلا يصح أن يجادل عن المجرمين ويناديه الله نداء الخليل (١١٧).

والحليم: هو الصبور على الأذى، الصفوح عن الجناية، المقابل لها بالإحسان. والأواه: هو الذي يكثر التأوه من خشية الله.

قال الآلوسي: وأصل التأوه قوله: آه ونحوه مما يقوله المتوجع الحزين. وهو عند جماعة كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن عبد الله بن شداد قال رجل: يا رسول الله ما الأواه؟ قال: «الخاشع المتضرع الكثير الدعاء». والمنيب: السريع الرجوع إلى الله - تعالى - بالتوبة والاستغفار.

(١١٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/٥٣٦.

(١١٦) سورة هود: ٧٥.

(١١٧) زهرة التفاسير ٧/٣٧٣٣، أوضح التفاسير ١/٢٧٣.

أي أن إبراهيم لصبور على الأذى، صفوح عن الجناية، كثير التضرع إلى الله، سريع الرجوع إليه في كل ما يحبه ويرضاه. ولكن حلم إبراهيم وإنابته ... لم يرد قضاء الله العادل في شأن قوم لوط (١١٨).

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِٰ إِنَّ نَسْأًا نَّخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَٰ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِٰ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (١١٩).

ذكرهم بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته، وفيه تنبيه لهم إلى ما يحتمل أن يقع لهم من القوارع التي تهلكهم، وتهديد على ما اجترحوا من السيئات، فهذه الآية اشتملت على أمرين:

أحدهما: أن هذا الخلق الذي خلقه الله تعالى من السماء والأرض يدل على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث، كما في قوله: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَٰ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} (١٢٠).

والأمر الآخر: التهديد لهم، بأن من خلق السماء والأرض على هذه الهيئة التي قد أحاطت بجميع المخلوقات فيهما .. قادرٌ على تعجيل العذاب لهم.

ومن المعلوم: أن ما بين يدي الإنسان هو كل ما يقع نظره عليه من غير أن يحوّل وجهه إليه، وما خلفه هو كل ما لا يقع نظره عليه، حتى يحوّل وجهه إليه، فيعم الجهات كلها (١٢١). ففي الكون من الآيات الدالة على قدرة الله براهين يدركها كل من حسنت نيته فأنااب إلى الله واعترف بالعبودية له (١٢٢). لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ راجع إلى ربه مطيع له (١٢٣).

قال تعالى: ﴿تَبْصِرَةٌ وَتُنْزِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (١٢٤).

(١١٨) التفسير الوسيط للطنطاوي ٢٤٣/٧.

(١١٩) سورة سبأ: ٩.

(١٢٠) سورة يس: ٨١.

(١٢١) تفسير حدائق الروح والريحان ١٩٥/٢٣.

(١٢٢) التفسير الحديث ٢٦٨/٤.

(١٢٣) الموسوعة القرآنية ٧/١١.

(١٢٤) سورة ق: ٨.

الطبري: وقوله (تَبَصَّرَةً) يقول: فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس نبصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء، (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول: وتذكيرا من الله عظمتة وسلطانه، وتنبيها على وحدانيته (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته^(١٢٥).

الماوردي: {وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن المنيب المخلص ، الثاني: أنه التائب إلى ربه ، الثالث: أنه الراجع المتذكر . . وقد عم الله بهذه التبصرة والذكرى وإن خص بالخطاب كل عبد منيب لانتفاعه بها واهتدائه إليها^(١٢٦).

التستري: منيب: أي مخلص القلب لله بالتوحيد إليه، وإدامة ذكره بواجباته^(١٢٧).

قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (١٢٨).

قوله عز وجل: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} فيه وجهان: أحدهما: أنه الذي يحفظ نفسه من الذنوب في السر كما يحفظها في الجهر. الثاني: أنه التائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها ، كما فعلها سرا. ويحتمل ثالثا: أنه الذي يستتر بطاعته لئلا يداخلها في الظاهر رياء. ووجدت فيه لبعض المتكلمين. رابعا: أنه الذي أطاع الله بالأدلة ولم يره. {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه المنيب المخلص ، الثاني: أنه المقبل على الله ، الثالث: أنه التائب^(١٢٩).

وقوله: {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} وَالرَّجُلُ هُوَ الْمُنِيبُ؛ لكنه أضاف إلى القلب؛ لِأَنَّ الْأَكْثَرَ مِنْ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ يَعْمَلُهُ الْمُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ^(١٣٠).

معنى الآية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيب، ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوّة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب.

{وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} هذه صفة مدح، لأن شأن الخائف أن يَهْرَب، فأما المتقي فجاء ربه لعلمه أنه لا ينجي الفرار منه^(١٣١).

^(١٢٥) تفسير الطبري ٣٣٣/٢٢، تفسير السمرقندي ٣٣٣/٣، الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/٧٠٣٢.

^(١٢٦) تفسير الماوردي ٣٤٢/٥.

^(١٢٧) تفسير التستري ١٥١/١.

^(١٢٨) سورة ق: ٣٣.

^(١٢٩) تفسير الماوردي ٣٥٤/٥، لطائف الإشارات ٤٥٤/٣، الوجيز للواحدى ١/١٠٢٤.

^(١٣٠) تفسير السمعاني ٢٤٦/٥.

^(١٣١) اللباب ٤١/١٨، تنوير المقباس ٤٤٠/١، تفسير المراغي ١٦٦/٢٦، تفسير السعدي ٨٠٦/١، التفسير

القرآني للقرآن ٤٨٨/١٣.

وقوله: «مُنِيْبٌ» أي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى. والباء في «بِقَلْبٍ» إما للتعدية، وإما للمُصَاحِبَةِ، وإما للسببية^(١٣٢).

.(مُنِيْبًا):

ورد لفظ مُنِيْبًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾^(١٣٣).

مس: وَفِي حَدِيثِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَلَمْ يَجِدْ مَسًّا مِنَ النَّصَبِ» هُوَ أَوَّلُ مَا يُحَسُّ بِهِ مِنَ التَّعَبِ^(١٣٤).

وقيل أصل التحويل الإرعاء يُقَالُ أَحْوَلُهُ إِبْلُهُ إِذَا اسْتَرَعَاهُ إِيَّاهَا فَكَثُرَ حَتَّى جَعَلَ كُلَّ هَبَّةٍ وَعَطِيَّةٍ تَحْوِيلًا كَأَنَّهُ جَعَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَرَعَاهُ^(١٣٥).

الماوردي: قوله عز وجل: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: مخلصاً إليه ، الثاني: مستغيثاً به ، الثالث: مقبلاً عليه ، {ثم إذا خَوَّلَهُ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ} فيه وجهان: أحدهما: إذا أصابته نعمة ترك الدعاء ، الثاني: إذا أصابته عافية نسي الضر. والتحويل العطية العظيمة من هبة أو منحة^(١٣٦).

النسفي: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ} هو أبو جهل أو كل كافر^(١٣٧) ، وقيل إنها نزلت في عتبة بن ربيعة.

وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وقيل هي عامة في كل كافر^(١٣٨).

(١٣٢) اللباب ٤١/١٨ .

(١٣٣) سورة الزمر: ٨.

(١٣٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٢٩/٤ .

(١٣٥) الفروق اللغوية للعسكري ١٧٦/١ .

(١٣٦) تفسير الماوردي ١١٦/٥ ، تفسير القرطبي ٢٣٨/١٥ ، تفسير البيضاوي ٣٨/٥ ، تفسير

النسفي ١٧١/٣ ..

(١٣٧) تفسير النسفي ١٧١/٣ ، تفسير الشعراوي ٨٢/١١ .

(١٣٨) التفسير الحديث ٣٠٤/٤ .

وفي الآية تلقين مستمر المدى في صدد من لا يذكر الله إلا في وقت الشدة وينساه وينحرف عن جادة الحق والتقوى في وقت الرخاء وما في ذلك من قبح وبشاعة وإثم عند الله (١٣٩).
 قوله عز وجل: {ثم إذا حوَّله منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل} فيه وجهان: أحدهما: إذا أصابته نعمة ترك الدعاء ، الثاني: إذا أصابته عافية نسي الضر ، الوجه الأول صحيح ولا أرجح الوجه الثاني لأن بعيد.
 (مُنْبِيَيْنَ):

ورد لفظ مُنْبِيَيْنَ في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى: ﴿مُنْبِيَيْنَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤٠).

(منبيين) أي: راجعين (إليه) بالتوبة والإخلاص، ومطيعين له في أوامره ونواهيه. قال الجوهري: أناب إليّ أي: أقبل وتاب. ثم أمرهم سبحانه بالتقوى بعد أمرهم بالإنابة فقال (واتقوه) أي: خافوه باجتناب معاصيه. (وأقيموا الصلاة) التي أمرتم بها (ولا تكونوا من المشركين) بالله أي ممن يشرك به غيره في العبادة وقوله (١٤١).

{مُنْبِيَيْنَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ} وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضى الله تعالى.

ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمّل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: {وَاتَّقُوهُ} فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.

وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (١٤٢)، فهذا إعانتها على التقوى (١٤٣).

وفي الآيتين التاليتين أمر للنبي والمسلمين معا بأن يجعلوا إنابتهم إلى الله وحده وأن يتقوه بصالح الأعمال ويواظبوا على إقامة الصلاة له ولا يكونوا من المشركين الذين انقسموا شيعا وأهواء في أمر الدين وكل منهم فرح بما هو عليه.

(١٣٩) التفسير الحديث ٤/٤٠٤.

(١٤٠) سورة الروم: ٣١.

(١٤١) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/٢٤٨، ٢٤٩.

(١٤٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(١٤٣) تفسير السعدي ١/٦٤٠، أوضح التفاسير ١/٤٩٥.

والآيات متصلة بسابقاتها اتصالاً تعقيبياً يتضمن إيضاح ما يجب على النبي والمؤمنين تجاه ما عليه الكفار والمشركون من باطل وضلال وأهواء منحرفة عن الحق.

والآية الثانية تفيد كما هو المتبادر أن الأمر الموجه إلى النبي في الآية الأولى هو شامل للمسلمين أيضاً (١٤٤).

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)" (١٤٥).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٤٦).

والمسّ يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، والمسّ يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى (١٤٧).

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ} شدة، وفقر، ومرض {دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} راجعين إلى طاعته {ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ} سعة، ورحاء، وصحة {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} أي يشركون غيره معه في العبادة: يخلقهم فيعبدون غيره، ويرزقهم فيشكرون سواه وللشرك مظاهر شتى لا حصر لها فليس مقصوداً على عبادة غير الله فحسب (١٤٨).

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} كلام مستأنف مسوق لتصوير طبائع الناس المتقلبة وترجحهم بين الرجاء والقنوط، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط (١٤٩).

في هذه الآيات الكريمة صورةً للنفس البشرية وتقلّب الأهواء في السراء والضراء وعند قبض الرزق وبسطه. فبعد أن أرشد الله سبحانه إلى التوحيد، وأقام الأدلة عليه، وضرب المثل له - أعقبه هنا بذكر حال للمشركين يُعرفون بها، وهي أنهم حين الشدة يتضرعون إلى ربهم وينيبون إليه، فإذا

(١٤٤) التفسير الحديث ٤٤٨/٥، تفسير الشعراوي ١٨/١٤٢١.

(١٤٥) سورة الروم ٣٠، ٣٢.

(١٤٦) سورة الروم: ٣٣.

(١٤٧) المفردات في غريب القرآن ١/٧٦٧.

(١٤٨) أوضح التفاسير ١/٤٩٥، التفسير الحديث ٥/٤٥٠، الموسوعة القرآنية ١٠/٥١٨.

(١٤٩) إعراب القرآن وبيانه ٧/٥٠٣.

خَلَصُوا مِنْهَا رَجَعُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وَإِثَانِهِمْ. لَذَلِكَ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ بِصُورَةِ الْأَمْرِ مَعَ التَّهْدِيدِ بِقَوْلِهِ: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (١٥٠).

قال القرطبي: وفي أصل الإنابة قولان: أحدهما: أنه القطع. ومنه أخذ اسم الناب لأنه قاطع، فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله - عز وجل - بالطاعة. والثاني: أن أصله الرجوع، مأخوذ من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد أخرى، ومنه النوبة لأنها الرجوع إلى عادة (١٥١).

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت تسعة ألفاظ، تكررت في ثمانية عشر آية، توزعت في الجدول على النحو الآتي:
ومعظم السور التي ورد فيها لفظ الإنابة مكية ماعدا سورتي الرعد والممتحنة.

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	أناب	٤	سورة الرعد: ٢٧، لقمان: ١٥، ص: ٢٤، ٣٤.
٢	أنابوا	١	سورة الزمر: ١٧.
٣	أنبنا	١	سورة الممتحنة: ٤.
٤	أنيب	٢	سورة هود: ٨٨، الشورى: ١٠.
٥	ينيب	٢	سورة غافر: ١٣، الشورى: ١٣.
٦	أنيبوا	١	سورة الزمر: ٥٤.
٧	منيب	٤	سورة هود: ٧٥، سبأ: ٩، ق: ٨، ٣٣.

(١٥٠) تيسير التفسير للقطان ٨٢/٣.

(١٥١) التفسير الوسيط للطنطاوي ٨٥/١١، أيسر التفاسير للجزائري ١٧٩/٤، حدائق الروح والريحان ١٤٤/٢٢.

سورة الزمر: ٨.	١	منيبا	٨
سورة الروم: ٣١، ٣٣.	٢	منيبين	٩

المبحث الثالث: القلب المخبت

المجموعة الدلالية الأولى: (خ ب ت)

ألفاظ هذه المجموعة: أختبوا . فتخبت . المخبتين .

ورد لفظ مخبت في القرآن الكريم ثلاث مرات ، وهي: أختبوا مرة واحدة ، فتخبت مرة واحدة ، المخبتين مرة واحدة .

المخبتون هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، ومقيمي الصلاة ، وينفقوا مما رزقهم الله .
وورد لفظ مخبت بمعنى:

أختبوا إلى الله: أي: خشعوا وأخلصوا واطمأنوا بإيمانهم^(١٥٢).

أختبوا يعني أخلصوا كما في قوله تعالى: " وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ " ^(١٥٣) وقوله تعالى: " وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ " ^(٣٤) ^(١٥٤).

والإخبات القبول: كما في قوله تعالى: " وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ " ^(١٥٥). يعني فتقبل له صدورهم ^(١٥٦).
الفرق بين الخضوع والإخبات:

أن المخبت هو المطمئن بالإيمان وقيل هو المُجْتَهِد بِالْعِبَادَةِ، وقيل الملازم للطاعة ، والسكون وهو من أسماء الممدوح مثل المؤمن والمتقي وليس كذلك الخضوع لأنه يكون مدحا وذما وأصل الإخبات أن يصير إلى خبت تقول أختبت إذا صار إلى خبت وهو الأرض المستوية الواسعة كما تقول أنجد إذا صار إلى نجد فالإخبات على ما يوجبها الاشتقاق هو الخضوع المستمر على استتواء^(١٥٧).

خبت لغة:

^(١٥٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ١/٣٣٨، مفردات ألفاظ القرآن ٢٧١..

^(١٥٣) سورة هود: ٢٣.

^(١٥٤) سورة الحج: ٣٤.

^(١٥٥) سورة الحج: ٥٤.

^(١٥٦) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١٥٣.

^(١٥٧) الفروق اللغوية ١/٢٥٠.

خبت: الخَبْتُ: ما اتسع من بطون الأرض، وجمعه خُبُوت. والمُخْبِتُ: الخاشع المتضرع، يخبت إلى الله ويخبت قلبه لله (١٥٨).

[خبت] وأخبت الرجل إخباتا فهو مخبت وهو المتأله المتوقى للمآثم. وجمع خبت: خبوت وأخبات (١٥٩).

(خَبَتِ) الخَاءُ وَالْبَاءُ وَالْتَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُشُوعٍ: يُقَالُ أَخْبَتَ يُخْبِتُ إِخْبَاتًا، إِذَا خَشَعَ (١٦٠).

خبت اصطلاحا:

" خبت " أي: سكنت: يقال: خبت، إذا سكن لهابها تخبو، فإذا سكن لهابها ولم يطفأ الجمر، قلت: خمدت تخمد خمودًا، فإذا طفئت، ولم يبق منها شيء، قيل: همدت تهمد همودًا (١٦١).
والإخبات: الاطمئنان والتدلل، والتواضع، والخضوع، وأصله من الخبت وهو المكان المطمئن، أي المنخفض من الأرض، وأخبت الرجل: دخل في مكان خبت (١٦٢).
(أخبتوا):

ورد لفظ أخبتوا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦٣).

ابن عباس: أخبتوا أنابوا. مجاهد: أطاعوا. قتادة: خشعوا وخضعوا. مقاتل: أخلصوا. الحسن: الإخبات الخشوع للمخافة الثابتة في القلب، وأصل الإخبات الاستواء (١٦٤).
الماوردي: قوله تعالى: " وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ " أي خشعت قلوبهم إلى ربهم، وهو الخشية، فالخشوع ظاهر والخشية سر .

(١٥٨) العين ٢٤١/٤، تهذيب اللغة ١٣٦/٧، الصحاح تاج اللغة ٢٤٧/١، مجمل اللغة ٣١٠/١.

(١٥٩) جمهرة اللغة ٢٥٢/١.

(١٦٠) مقاييس اللغة ٢٣٨/٢، الفروق اللغوية ٢٥٠/١، المحكم والمحيط الأعظم ٣٠٩/٥، المخصص ١٧١/٣.

(١٦١) تفسير الماتريدي ١١٨/٧، البحر المحيط ٩٦/٧، الكليات ٤٣٧/١.

(١٦٢) اللباب في علوم الكتاب ٤٦٢/١٠، تفسير ابن رجب الحنبلي ٦٣٩/١، تنوير المقباس ٢٤٢/١، الفروق

اللغوية للعسكري ٢٥٠/١.

(١٦٣) سورة هود: ٢٣.

(١٦٤) تفسير القرطبي ٢١/٩، أوضح النفاسير ٢٦٥/١.

قوله عز وجل: {وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ} فيه خمسة تأويلات: أحدها: يعني خافوا ربهم ، الثاني: يعني اطمأنوا ، الثالث: أنابوا ، الرابع: خشعوا وتواضعوا لربهم ، الخامس: أخلصوا إلى ربهم ، (١٦٥).

الزمخشري: وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة^(١٦٦).

الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه وهو يتعدى بالي وباللام فإذا قلت أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن اليه وإذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع^(١٦٧).

الشعراوي: وكلمة {وأخبتوا} أي: خضعوا خشية لله تعالى، فهم لا يؤدون فروض الإيمان لمجرد رغبتهم في ألا يعاقبهم الله، لا بل يؤدون فروض الإيمان والعمل الصالح خشية لله^(١٦٨).

تعددت معاني الإخبات من

إنابه، وطاعه، وخشوع، وخضوع، وإخلاص، والإستواء، والخوف، والطمأنينة، والتواضع، وأرى أنها تؤكد أهمية الإخبات وسعة معانيه.

(فَتُخْبِتَ):

ورد لفظ فَتُخْبِتَ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٦٩).

ابن كثير وَقَوْلُهُ: {فَيُؤْمِنُوا بِهِ} أي: يُصَدِّقُوهُ وَيَنْقَادُوا لَهُ، {فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} أي: تَخَضَعُ وَتَدُلُّ، {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَتَبَاعِهِ، وَيُوفِّقُهُمْ لِمُخَالَفَةِ الْبَاطِلِ وَاجْتِنَابِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَهْدِيهِمْ [إِلَى] الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوَصِّلِ إِلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّاتِ، وَيُرْزِخُهُمْ عَنِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالذَّرَكَاتِ^(١٧٠).

فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ بالانقياد والخشية والإذعان لما فيه من الأوامر والنواهي^(١٧١).

^(١٦٥) تفسير الماوردي ٢/٤٦٥.

^(١٦٦) تفسير الزمخشري ٢/٣٨٧.

^(١٦٧) إعراب القرآن وبيانه ٤/٣٣٣.

^(١٦٨) تفسير الشعراوي ١٠/٦٤٢٠، الموسوعة القرآنية ١٠/٩٠.

^(١٦٩) سورة الحج: ٥٤.

^(١٧٠) تفسير ابن كثير ٥/٤٤٦.

^(١٧١) تفسير أبي السعود ٦/١١٤، تفسير السعدي ١/٥٤٢.

وقوله: (أَنَّه الْحَقُّ)، فيه قصر، لتعريف الطرفين أي أن القرآن الكريم هو الحق، فليس حديثا يفترى ولا أساطير الأولين، (فَيُؤْمِنُوا بِهِ)، ولذلك يؤمنون به و " الفاء " للسيبية، أي بسبب علمهم يؤمنون به (فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ)، الإخبات: الخبت المطمئن من الأرض، وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، والمعنى تواضعت قلوب المؤمنين، ولم تمار في الحق قلوبهم، بل أخبتت وسكنت إلى الحق^(١٧٢).

. (المُخْبِتِينَ):

ورد لفظ المُخْبِتِينَ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (١٧٣).

المراغي: المنسك (بكسر السين وفتحها) والمنسك في الأصل: العبادة مطلقا، وشاع استعماله في أعمال الحج، والمراد به هنا الذبح وإراقة الدماء على وجه التقرب إليه تعالى، أسلموا: أي انقادوا له، المخبتين: أي المتواضعين الخاشعين، من أخبت الرجل: إذا سار في الخبت وهو المطمئن من الأرض، وجلت: أي خافت^(١٧٤).

ابن كثير: يخبرُ تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشرُوعًا في جميع الملل.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} قال: عيدًا. وقال عكرمة: ذبحًا. وقال زيد بن أسلم في قوله: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} ، إنها مكَّة، لم يجعل الله لأمة قط منسكًا غيرها.

{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} : قال مجاهد: الْمُطْمَئِنِّينَ، وَقَالَ الصَّحَّاحُ، وَقِتَادَةُ: الْمُتَوَاضِعِينَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْوَجِلِينَ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أُوسٍ : الْمُخْبِتُونَ : الَّذِينَ لَا يَظْلَمُونَ، وَإِذَا ظَلَمُوا لَمْ يَنْتَصِرُوا. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} قَالَ: الْمُطْمَئِنِّينَ الرَّاضِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، الْمُسْتَسْلِمِينَ لَهُ^(١٧٥).

{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم^(١٧٦).

^(١٧٢) زهرة التفاسير ٩/٥٠٠٨.

^(١٧٣) سورة الحج: ٣٤.

^(١٧٤) تفسير المراغي ١٧/١١٣: ١١١.

^(١٧٥) تفسير ابن كثير ٥/٤٢٤.

^(١٧٦) تفسير أبي السعود ٦/١٠٧.

صفات المخبتين (١٧٧):

(١) (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أي إنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.

(٢) (وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) من النوائب والمحن في طاعة الله.

(٣) (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) أي والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة في الأوقات التي حددها لهم.

(٤) (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) أي وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر وعلى أهلهم وأقاربهم وعلى الخلق كافة

من فوائد (الإحبات)

(١) أول درجات الطمأنينة والثقة بالله وحسن الظنّ به.

(٢) للمخبت البشرية من الله بالجنة.

(٣) الأمن من الفرع الأكبر يوم القيامة.

(٤) الإحبات من الأحوال القلبية الموجبة للالتفات عمّا سوى الله.

(٥) الإحبات يورث صاحبه العزة في الدنيا والنّجاة في الآخرة.

(٦) الإحبات يقي من الفتنة.

(٧) بالإحبات ترتفع الهمة وتعلو النفس عن الرّغبة في المدح أو الخشية من الدّم.

(٨) بالإحبات يباشر القلب حلاوة الإيمان واليقين (١٧٨).

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد

بلغت ثلاثة ألفاظ، تكررت في ثلاث آيات (179)، توزعت في الجدول على

النحو الآتي:

(١٧٧) نضرة النعيم ١٢٣/٢.

(١٧٨) نضرة النعيم ١٢٣/٢.

(١٧٩) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٢٦/٢.

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	أخبتوا	١	سورة هود: ٢٣.
٢	فتخبت	١	سورة الحج: ٥٤.
٣	المخبتين	١	سورة الحج: ٣٤.

المبحث الرابع: القلب الوجل

المجموعة الدلالية الأولى: (و ج ل)

ألفاظ هذه المجموعة: وجلت . توجل . وجلون . وجلة.

وقد ورد لفظ وجل في القرآن الكريم خمس مرات.

وجل لغة:

(و ج ل) : وَجَلَ وَجَلًا فَهُوَ وَجَلٌ وَالْأُنْثَى وَجَلَةٌ مِنْ بَابِ تَعَبٍ إِذَا خَافَ وَجَاءَ فِي الذِّكْرِ أَوْجَلُ

أَيْضًا وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ^(١٨٠). الوجل: استشعار الخوف يقال وجل يولج وجلا^(١٨١).

وجل اصطلاحا:

"وَجُلٌ - ككُرْمٍ: كَبُرَ. وفي الحديث الشريف "وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ"^(١٨٢). فسرت المعاجم الوجل بالفرع والخوف. وهما ضَعْفٌ واضطراب

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ}^(١٨٣) ، فهذا وَجَلَ وَجَلًا خشية واستحضار جلال الله

{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}^(١٨٤). فالوجل هنا من خشية أن

يكون إيتاؤهم مشوبًا بما يبطله، وهم سَيَّرَدُونَ إلى ربهم فيحاسبهم. وفي تفسير الأولى قال ابن

عباس : إن المنافين لا يدخل قلوبهم شيءٌ من ذكر الله عد أداء فرائضه ... "ثم لم يصرح بأن

الوجل الفرع أو الفرق^(١٨٥). وفي قوله تعالى: {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ

^(١٨٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/٦٤٩.

^(١٨١) مفردات ألفاظ القرآن ٨٥٥.

^(١٨٢) مسند البزاز = البحر الزخار ١٠/١٣٧، المعجم الكبير للطبراني ١٨/٢٤٨، مسند الشاميين

للطبراني ١/٤٤٦، المستدرک علی الصحیحین للحاکم ١/١٧٤، الاعتقاد للبيهقي ١/٢٢٩، السنن الكبرى

للبيهقي ١٠/١٩٥، شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١/٩٦، جامع العلوم والحكم، ت

الأرنؤوط ٢/١٠٩، التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/١٩٣، تطريز رياض الصالحين ١/٣٠٩، التحفة الربانية في

شرح الأربعين حديثا النووية ١/٦٤، شرح الأربعين النووية للعثيمين ١/٢٧٤، شرح الأربعين النووية لعطية

سالم ٢/٦١، روضة المحدثين ٧/٤٩٤، موسوعة الألباني في العقيدة ١/٢٣٨.

^(١٨٣) سورة الأنفال: ٢.

^(١٨٤) سورة المؤمنون: ٦٠.

^(١٨٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/٣٢٥، المحكم والمحيط الأعظم ٧/٥٥٣، المخصص ٣/٣٥٥، النهاية في

غريب الحديث والأثر ٥/١٥٧، التعريفات ١/١٨٨، القاموس المحيط ١/٦٧، كشف اصطلاحات الفنون

(٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ {١٨٦}. فالوجل هنا تَوَجَّسَ شَرٌّ وهو من الضعف كقوله {نَكَرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} {١٨٧}.

الفرق بين الخوف والوجل

أَنَّ الْخَوْفَ خِلافَ الطَّمَأْنِينَةِ، وَيُقَالُ أَنَا مِنْ هَذَا عَلَى وَجَلٍ وَمَنْ ذَلِكَ عَلَى طَمَأْنِينَةٍ وَلَا يُقَالُ عَلَى خَوْفٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَفِي الْقُرْآنِ (الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ) أَي إِذَا ذَكَرَتْ عَظَمَةَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ لَمْ تَطْمِئِنْ قُلُوبُهُمْ إِلَى مَا قَدَمُوهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَقْصُورُونَ فَاضْطَرَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَلِقُوا فَالْيَسَّ الْوَجَلُ مِنَ الْخَوْفِ فِي شَيْءٍ وَخَافَ مُتَعَدِّ وَوَجَلَّ غَيْرَ مُتَعَدِّ وَصِيغَتَاهُمَا مُخْتَلِفَتَانِ أَيْضًا وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى فَرْقٍ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى (١٨٨).

ولكن الخوف هو: توقع الضرر المشكوك في وقوعه، ومن يتيقن الضرر لم يكن خائفًا (١٨٩).

ورد لفظ وجل في القرآن الكريم بمعنى: فرع، خاف، فرق. رق.

. (وَجَلَّتْ):

ورد لفظ وَجَلَّتْ في القرآن الكريم مرتين مقترنا بالقلب بمعنى: فرغت وخافت (١٩٠).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١٩١).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: خافت. الثاني: رقت. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ يعني آيات القرآن بما تضمنته من أمر ونهي. ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ فيه وجهان: أحدهما: تصديقاً. الثاني: خشية. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: فيما يخافونه من الشدة في الدنيا. الثاني: فيما يرجونه من ثواب أعمالهم في الآخرة (١٩٢).

(١٨٦) سورة الحجر: ٥٢، ٥٣.

(١٨٧) سورة هود: ٧٠.

(١٨٨) الفروق اللغوية ١/٢٢٧، ٢٤٣، الكليات ٩٤٩.

(١٨٩) الفروق اللغوية ١/١٩٩.

(١٩٠) المعجم المفهرس ١١٦٤.

(١٩١) سورة الأنفال: ٢.

(١٩٢) تفسير الماوردي ٢/٢٩٥.

وقوله ها هنا "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ" ظاهرها أنها للمبالغة والتأكيد فقط أي الكاملون، وَجِلَتْ معناها فرغت وركت وخافت وبهذه المعاني فسرت العلماء، وقرأ ابن مسعود «فرقت»، وقرأ أبي بن كعب «فزعت» (١٩٣).

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَي الْكَامِلُونَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِمَوْصُولٍ وَصَلَ بِثَلَاثِ مَقَامَاتٍ عَظِيمَةٍ مَقَامِ الْخَوْفِ، وَمَقَامِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَمَقَامِ التَّوَكُّلِ، وَيُحْتَمَلُ قَوْلُهُ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ إِنْ يُذَكَّرُ اسْمُهُ وَيُلْفَظُ بِهِ تَفَرُّعٌ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِهِ اسْتِعْظَامًا لَهُ وَتَهَيُّبًا وَإِجْلَالًا وَيَكُونُ هَذَا الذِّكْرُ مُخَالَفًا لِلذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ لِأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ هُنَاكَ رَافِعُهُ وَرَحْمَتُهُ وَتَوَابُهُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرَ اللَّهِ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَي ذُكِرَتْ عَظَمَةُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ وَمَا خَوَّفَ بِهِ مَنْ عَصَاهُ قَالَهُ الرَّجَّاحُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالْمَعْصِيَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ فَيَفْرَعُ عَنْهَا (١٩٤).

قال تعالى: "... وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)" (١٩٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أَي خَافَتْ وَحَذِرَتْ مُخَالَفَتَهُ. فَوَصَفَهُمْ بِالْخَوْفِ وَالْوَجَلِ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ يَقِينِهِمْ وَمُرَاعَاتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَكَأَنَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَصَفَهُمْ بِالصَّبْرِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِدَامَتِهَا. وَرُوي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلُهُ: " وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ" (١٩٦). نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيٍّ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ (١٩٧).

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ هَيْبَةٌ مِنْهُ لِإِشْرَاقِ أَشْعَةِ جَلَالِهِ عَلَيْهَا. وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْكَلْفِ وَالْمَصَائِبِ. وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَقَرَأَ «وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ» عَلَى الْأَصْلِ. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ (١٩٨). { وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } : قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمُطْمَئِنِّينَ، وَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَ الْوَجِلِينَ، وَ الَّذِينَ لَا يَظْلَمُونَ، وَإِذَا ظَلَمُوا لَمْ يَنْتَصِرُوا.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: { وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } قَالَ: الْمُطْمَئِنِّينَ الرَّاضِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، الْمُسْتَسْلِمِينَ لَهُ. وَأَحْسَنُ مَا يُفَسَّرُ بِمَا بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: { الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } أَي: خَافَتْ مِنْهُ قُلُوبُهُمْ،

(١٩٣) تفسير ابن عطية ٥٠١/٢.

(١٩٤) البحر المحيط ٢٧٠، ٢٧١/٥.

(١٩٥) سورة الحج: ٣٥.

(١٩٦) سورة الحج: ٣٤.

(١٩٧) تفسير القرطبي ٥٩/١٢.

(١٩٨) تفسير البيضاوي ٧٢/٤.

{وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ} أَي: مِنَ الْمَصَائِبِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَاللَّهِ لَتَصِيرَنَّ أَوْ لَتَهْلِكَنَّ (١٩٩).

وَصَفَ سُبْحَانَهُ هُوَ لِأَيِّ الْمُخِيبِينَ يَقُولُهُ: الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ أَي: خَافَتْ وَحَدَرَتْ مُخَالَفَتُهُ، وَحُصُولُ الْوَجَلِ مِنْهُمْ عِنْدَ الذِّكْرِ لَهُ سُبْحَانَهُ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ يَقِينِهِمْ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمِحَنِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ أَي: الْإِثْيَانِ بِهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ (٢٠٠).

. (تَوْجَلْ):

ورد لفظ تَوْجَلْ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٢٠١).

{قَالُوا لَا تَوْجَلْ} أَي: لَا تَخَفْ، {وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} (٢٠٢) ابن كثير: وَهُوَ إِسْحَاقُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢٠٣).

(قالوا) أي الملائكة (لا توجل) أي لا تخف، قاله عكرمة، وقرئ لا تأجل وتوجل من أوجله أي أخافه (إنا نبشرك بغلام عليم) مستأنفة لتعليل النهي عن الوجل لأن المبشر لا يخاف منه، والعليم كثير العلم، وقيل هو الحلیم كما وقع في موضع آخر من القرآن (٢٠٤).

المراغي: (قَالُوا لَا تَوْجَلْ) أَي قَالَ الضيف لإبراهيم: لَا تَخَفْ وَلَا يَحْمُ حَوْلَ سَاحَتِكَ الْخَوْفِ وَالْهَلَعِ (٢٠٥).

وفي قوله تعالى: «قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» إشارة إلى أن الملائكة قد وجدوا دلائل الخوف وأمارات التكر تظهر على إبراهيم، فقالوا له: «لا توجل» .. وهذا الموقف شبيهه

(١٩٩) تفسير ابن كثير ٥/٤٢٥، تفسير أبي السعود ٦/١٠٧.

(٢٠٠) فتح القدير للشوكاني ٣/٥٣٥، فتح البيان ٩/٥٠، تفسير المراغي ١٧/١١٣، تفسير

السعدي ١/٥٣٨، التفسير القرآني للقرآن ٩/١٠٣٨، أضواء البيان ٥/٢٥٨، زهرة التفاسير ٩/٤٩٨٥، أوضح

التفاسير ١/٤٠٥، التفسير الحديث ٦/٤٩، الموسوعة القرآنية ١٠/٣٥٣، تفسير الشعراوي ١٦/٩٨٢٠، التفسير

الوسيط للطنطاوي ٩/٣١٢، فتح الرحمن ٤/٤٢٧، تفسير حدائق الروح والريحان ١٨/٣٢٠، المختصر في تفسير

القرآن ١/٣٣٦، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ٣/٢٥٨.

(٢٠١) سورة الحجر: ٥٣.

(٢٠٢) سورة الذاريات: ٢٨.

(٢٠٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٤٠.

(٢٠٤) فتح البيان في مقاصد القرآن ٧/١٧٩.

(٢٠٥) تفسير المراغي ١٤/٣٢.

بالموقف الذي كان من الملائكة حين دخلوا على داود، ففرغ منهم، فقالوا له.. لا تخف، وفي هذا يقول الله تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ.. قَالُوا لَا تَخَفْ» (٢٠٦).

وفي قولهم: «إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» تعجيل بهذه البشرى، لكي يطمئن قلبه إليهم، وتأنس نفسه بهم، وكى يذهب هذا الخبر العجيب بهذا الخوف الذي دخل عليه فجأة (٢٠٧).
الشعراوي: هكذا طمأنت الملائكة إبراهيم عليه السلام، وهَدَّاتُ من رَوْعِهِ، وَأَزَالَتْ مخاوفَهُ، وقد حملوا له البشارة بأن الحق سبحانه سيرزقه بغلام سيصير إلي مرتبة أن يكون كثير العلم (٢٠٨).
. (وَجِلُونَ):

ورد لفظ وَجِلُونَ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ (٢٠٩).

(قال إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) أي قال إبراهيم للضيف: إنا خائفون منكم، لأنهم دخلوا عليه بلا إذن وفي وقت لا يجيء في مثله طارق، أو لأنه حين قرَّب إليهم العجل الحنيد لم يأكلوا منه، والضيف إذا لم يأكل مما يقدم له من الطعام يظن أنه لم يأت لخير، ويؤيد هذا قوله في سورة هود: «فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» (٢١٠).

وَضَمِيرُ إِنَّا مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَهُوَ يَعْنِي بِهِ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ، لِأَنَّ الضَّيْفَ طَرَفُوا بَيْتَهُمْ فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ الضَّيْفِ فَظَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ شَرًّا، فَلَمَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ فَاتَّحَهُمْ بِطَلَبِ الْأَمْنِ، فَقَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، أَي أَخَفَّتُمُونَا. وَفِي سُورَةِ الدَّارِيَاتِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: "قَوْمٌ مُنْكَرُونَ" (٢١١).
وَالْوَجَلُ: الْخَائِفُ. وَالْوَجَلُ - بَفَتْحِ الْجِيمِ - الْخَوْفُ. وَوَقَعَ فِي سُورَةِ هُودٍ "نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً" (٢١٢).

(٢٠٦) سورة ص: ٢١: ٢٢.

(٢٠٧) التفسير القرآني للقرآن ٧/٢٤٣.

(٢٠٨) تفسير الشعراوي ١٣/٧٧٢٢.

(٢٠٩) سورة الحجر: ٥٢.

(٢١٠) تفسير المراغي ١٤/٣٢.

(٢١١) سورة الداريات: ٢٥.

(٢١٢) سورة هود: ٧٠.

وَقَدْ جُمِعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُتَّفَرِّقُ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ، فَاقْتَصَرَ عَلَى مُجَاوِبَتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْ قَوْلِهِ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، فَنَهَايَةُ الْجَوَابِ هُوَ لَا تَوَجَّلْ (٢١٣).

هذه الآيات حلقة من سلسلة قصصية، ومعانيها واضحة. وفيها إشارة إلى قصة تبشير إبراهيم عليه السلام بغلام بعد أن شاخ ويئس من الإنجاب (٢١٤).
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ جَمْعَ لَأَنَّ الضيف يصلح للواحد والمثنى والجمع والمؤنث. فقَالُوا سَلَامًا أَي سَلِمُوا سَلَامًا. قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ فَرَعُونَ خَائِفُونَ (٢١٥).
. (وَجِلَّةٌ):

ورد لفظ وَجِلَّةٌ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٢١٦).

أي الذين يعطون الصدقات وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم. وقرأت السيدة عائشة وكثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «والذين يأتون ما أتوا» أي يرتكبون ما ارتكبوا من الذنوب «وقلوبهم وجلة» خائفة من عاقبة ما ارتكبوا ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيعاقبهم على ما أتوه، أو يعاقبهم على المنع، أو على الرياء (٢١٧).

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أي والذين يعطون العطاء، وهم وجلون خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط روى الإمام أحمد والترمذي وابن أبي حاتم عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هُوَ الَّذِي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل» (٢١٨).

(٢١٣) التحرير والتنوير ٥٨/١٤.

(٢١٤) التفسير الحديث ٥١/٤.

(٢١٥) الموسوعة القرآنية ١٠/١٨٣، الباب في علوم الكتاب ١١/٤٦٨.

(٢١٦) سورة المؤمنون: ٦٠.

(٢١٧) أوضح التفاسير ١/٤١٧، تفسير الشعراوي ١٦/١٠٠٦٥.

(٢١٨) التفسير المنير للزحيلي ١٨/٦٥، التفسير الواضح ٢/٦٣٢.

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت أربعة ألفاظ، تكررت في خمس آيات^(٢١٩)، توزعت في الجدول على النحو الآتي:

(٢١٩) المعجم المفهرس ١١٦٤.

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	وجلّت	٢	سورة الأنفال: ٢. سورة الحج: ٣٥.
٢	توجل	١	سورة الحجر: ٥٣.
٣	وجلون	١	سورة الحجر: ٥٢.
٤	وجلة	١	سورة المؤمنون: ٦٠.

المبحث الخامس: القلب الخاشع

المجموعة الدلالية الأولى: (خ ش ع)

الفاظ هذه المجموعة: خشعت . تخشع . خشوعا . خاشعا . خاشعون . خاشعين . خشعا . خاشعة . الخاشعات .

ذكر لفظ الخشوع في القرآن الكريم في (١٦) آية، وتكرر (١٧) مرة، منها: (٨) مرات بصيغة الجمع: خاشعون مرة واحدة، خاشعين (٥) مرات، خشعا مرة واحدة، الخاشعات مرة واحدة. وذكر بصيغة المفرد (٩) مرات، منها: خشعت مرة واحدة، تخشع مرة واحدة، خشوعا مرة واحدة، خاشعا مرة واحدة، خاشعة (٥) مرات.

اقترن لفظ الخشوع بالقلب مرة واحدة في سورة الحديد.

الخشوع يكون بالقلب أولا لأنه من فعل القلب ثم يتبعه خشوع البصر والصوت والوجه فيظهر عليهم .

أنواع الخشوع الخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالْبَصَرِ وَالصَّوْتِ^(٢٢٠). خاشِعُونَ: خائفون بالقلب، ساكنون بالجوارح. والخشوع في الصلاة بجمع الهمة لها، والإعراض عما سواها، ومن الخشوع أن لا يجاوز بنظره موضع سجوده^(٢٢١). وحكى ابن حجر عن الفخر الرازي في تفسيره أن الخشوع تارة يكون من فعل القلب كالخشية، وتارة من فعل البدن كالتسكون، وقيل: لا بد من اعتبارهما، وقال غيره: هو معنى يقوم بالنفس يظهر عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة^(٢٢٢). وهذا خشوع المؤمنون الطائعون.

(٢٢٠) تفسير البغوي ٤٠٨/٥ .

(٢٢١) إيجاز البيان عن معاني القرآن ٥٨٤/٢ .

(٢٢٢) نضرة النعيم ١٨٢٥/٥ .

وهناك خشوع العصاة قال تعالى: (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) (٢٢٣)؛ لأن الله - تعالى - أذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم، وأعطوا أنفسهم شهواتهم ومناهم (٢٢٤).
{أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ} (٢٢٥)؛ فيه وجهان: أحدهما: ذليلة، قاله قتادة. الثاني: خاضعة (٢٢٦).
قوله: {أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ} أي: مُنْكَسِرَةٌ ذليلة من هول ما ترى (٢٢٧). {خَاشِعَةٌ}، أي: ذليلة من الخوف بسبب الإعراض عن الله، والإقبال على ما سواه، يترقبون أي شيء ينزل عليهم من الأمور العظام، وأسند الخشوع إليها مجازًا؛ لأن أثره يظهر فيها (٢٢٨).

(٢٢٣) سورة الشورى: ٤٥.

(٢٢٤) تفسير الماوردي ٥/٢٠٩.

(٢٢٥) سورة النازعات: ٩.

(٢٢٦) تفسير الماوردي ٦/١٩٥، الوجيز للواحدي ١/١١٧٠، المنتخب في تفسير القرآن ١/٨٨١، صفوة

التفاسير ٣/٤٨٩، التفسير الواضح ٣/٨١٦، فتح الرحمن في تفسير القرآن ٧/٢٧١.

(٢٢٧) اللباب في علوم الكتاب ٢٠/١٢٩، تنوير المقباس ١/٥٠٠، أوضح التفاسير ١/٧٣١..

(٢٢٨) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٣١/٧٤.

خشع لغة :

مصدر خشع يخشع وهو مأخوذ من مادّة (خ ش ع) التي تدلّ كما يقول ابن فارس على معنى واحد هو التّطامن، يقال خشع فلان إذا تطامن وطأطأ رأسه وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أنّ الخضوع في البدن ، والخشوع في البدن والصّوت والبصر، قال تعالى: " خاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ " (٢٢٩). قال ابن دريد: الخاشع: المستكين والرّاعع، وقال الرّاعب: الخشوع الصّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والصّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح. وذكرت كتب اللّغة أنّ الخشوع هو الخضوع، يقال خشع يخشع خشوعاً، واخشع وتخشع: رمى ببصره نحو الأرض (٢٣٠).

وكل ساكن خاضع خاشع. والتخشع لله: الإخبات والتذلل. وخشع سنام البعير ، إذ أفضى فذهب شحمه وتطأطأ شرفه ، وجدار خاشع ، إذا تداعى واستوى مع الأرض (٢٣١).

خشع اصطلاحاً:

الخشوع والخضوع والتواضع: بمعنى واحد ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: الخشوع: الانقياد للحق، وقيل: هو الخوف الدائم في القلب ، قيل من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك بالقبول (٢٣٢).

الخشوع: بالجوارح ، ولذلك إذا تواضع القلب خشعت الجوارح . والمراد به: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل وهذا الخشوع يأتي عند ذكر الله تعالى ، يقول المولى سبحانه: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ

(٢٢٩) سورة القلم: ٤٣ .

(٢٣٠) نضرة النعيم ٥/١٨٢٤ ، العين ١/٤١٠ ، باب الخاء ..

(٢٣١) تهذيب اللغة للأزهري ١/١٥٢ .

(٢٣٢) التعريفات ، الجرجاني ، ١٠٢ .

فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" (٢٣٣)، ويقول جل من قائل: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) " (٢٣٤) .

ومن هذه الآيات الكريمة نستنبط أمرين مهمين: الأول: أن الخشوع في الصلاة هو أول صفات المؤمنين، الثاني: أن ثمرته هو الفلاح، وأن أصحابه من الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣٥). وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة (٢٣٦) .

ذكر بعض المفسرين أنّ الخشوع في القرآن على أربعة أوجه (٢٣٧):
أحدها: الدّلّ. ومنه قوله تعالى في طه: "وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ" (٢٣٨).
والثاني: سكون الجوارح. ومنه قوله تعالى في المؤمنين: "الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ" (٢٣٩).
والثالث: الخوف. ومنه قوله تعالى في الأنبياء: "وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" (٢٤٠).
والرابع: التواضع. ومنه قوله تعالى في البقرة: "وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ" (٢٤١).
ويمكن أن يضاف إلى ذلك وجه خامس وهو: اليبس والجمود، وذلك كما في قوله تعالى:
وَتَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً" (٢٤٢).
(خَشَعَتِ):

وقد ورد ذكر لفظ خَشَعَتِ في القرآن الكريم مرة واحدة:

(٢٣٣) سورة الحديد: ١٦

(٢٣٤) سورة المؤمنون ١، ٢ .

(٢٣٥) موسوعة نضرة النعيم ١/٣٢ .

(٢٣٦) السابق ١/٦٣ .

(٢٣٧) نضرة النعيم ٥/١٨٢٥، ١٨٢٦ .

(٢٣٨) سورة طه: ١٠٨

(٢٣٩) سورة المؤمنون: ٢ .

(٢٤٠) سورة الأنبياء: ٩٠ .

(٢٤١) سورة البقرة: ٤٥ .

(٢٤٢) سورة فصلت: ٣٩ .

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (٢٤٣).

"وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ" أي: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن. فلا تسمع إلا همساً.
أي: حس الأقدام إلى المحشر (٢٤٤).
والخشوع هنا متعلق بالأصوات.
(تَخَشَعُ):

ورد لفظ تَخَشَعُ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٤٥).

كُلُّ فِعْلٍ مُضَارِعٍ فِي الْقُرْآنِ مَجْرُومٌ بِـ «لَمْ» إِذَا تَقَدَّمَهَا هَمْزَةُ الْاِسْتِفْهَامِ كَمَا هُنَا - فِيهِ وَجْهَانِ مِنَ التَّفْسِيرِ مَعْرُوفَانِ.

الأوَّلُ مِنْهُمَا: هُوَ أَنَّ ثَقَلَبَ مُضَارِعُهُ مَاضِيَةٌ، وَنَفْيُهُ إِثْبَاتٌ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى الْمَاضِي الْمُثْبِتِ، لِأَنَّ «لَمْ» حَرَفٌ ثَقَلَبَ الْمُضَارِعِ مِنْ مَعْنَى الْاِسْتِقْبَالِ إِلَى مَعْنَى الْمُضِيِّ، وَهَمْزَةُ الْاِسْتِفْهَامِ اِنْكَارِيَّةٌ، فِيهَا مَعْنَى النَّفْيِ، فَيَتَسَلَّطُ النَّفْيُ الْكَامِنُ فِيهَا عَلَى النَّفْيِ الصَّرِيحِ فِي «لَمْ» فَيَنْفِيهِ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ، فَيَرْجِعُ الْمَعْنَى إِلَى الْمَاضِي الْمُثْبِتِ. وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى «الَّذِينَ آمَنُوا» أَي: آَنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْاِسْتِفْهَامَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ لِلتَّفْهِيمِ، وَهُوَ حَمَلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى أَنْ يَقَرَّ فَيَقُولُ: بَلَى. وَقَوْلُهُ: «يَأْنِ»: هُوَ مُضَارِعٌ «أَنِّي يَأْنِي» إِذَا جَاءَ اِنْهَاءُ أَيِ وَقْتِهِ،

وَالْمَعْنَى عَلَى كَيْلِ الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُ حَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنِّي لَهُمْ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، أَي جَاءَ الْحِينُ وَالْأَوَانُ لِذَلِكَ، لِكَثْرَةِ مَا تَرَدَّدَ عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَاجِرِ الْقُرْآنِ وَمَوَاعِظِهِ.

قَوْلُهُ: «خَاشِعٌ» أَي مُنْخَفَضٌ مُطْمَئِنٌّ، وَالْخُشُوعُ فِي الشَّرْعِ خَشْيَةٌ مِنَ اللَّهِ تُدَاخِلُ الْقُلُوبَ، فَتُظْهِرُ آثَارَهَا عَلَى الْجَوَارِحِ بِالْاِنْخِفَاضِ وَالسُّكُونِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْخَائِفِ. (٢٤٦)

(٢٤٣) سورة طه: ١٠٨.

(٢٤٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ٧/٤٧٠، تفسير الماوردي ٣/٢٥٤، الوجيز للواحيدي ١/٧٠٦، تفسير

السمعاني ٣/٣٥٥، تفسير أبي السعود ٦/٤٢، محاسن التأويل ٧/١٤٨، تفسير السعدي ١/٥١٣.

(٢٤٥) سورة الحديد: ١٦.

(٢٤٦) أضواء البيان: ٧/٥٤٦، ٥٤٧.

(خُشُوعًا):

ورد لفظ خُشُوعًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (٢٤٧) .

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ، أَي: يَقَعُونَ عَلَى الْوَجْهِ يَبْكُونَ، وَالْبُكَاءُ مُسْتَحَبٌّ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيَزِيدُهُمْ، نُزُولَ الْقُرْآنِ، خُشُوعًا، خُضُوعًا لِرَبِّهِمْ^(٢٤٨)، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا^(٢٤٩)

فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ: الْاُولَى - قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) هَذِهِ مُبَالَغَةٌ فِي صِفَتِهِمْ وَمَدْحٌ لَهُمْ. وَحَقٌّ لِكُلِّ مَنْ تَوَسَّمَ بِالْعِلْمِ وَحَصَلَ مِنْهُ شَيْئًا أَنْ يَجْرِيَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، فَيَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَيَتَوَاضَعُ وَيَذَلُّ. وَالْأَذْقَانُ جَمْعُ ذَقْنٍ، وَهُوَ مُجْتَمِعُ اللَّحْيَيْنِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْأَذْقَانُ عِبَارَةٌ عَنِ اللَّحْيِ. أَي يَضَعُونَهَا عَلَى الْأَرْضِ فِي حَالِ السُّجُودِ، وَهُوَ غَايَةُ التَّوَاضُعِ. وَاللَّامُ بِمَعْنَى عَلَى، تَقُولُ: سَقَطَ لِفِيهِ أَي عَلَى فِيهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا" أَي لِلْوُجُوهِ. وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَذْقَانَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الذَّقْنَ أَقْرَبُ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ الْإِنْسَانِ. وَلَا يَجُوزُ السُّجُودُ عَلَى الذَّقْنِ. لِأَنَّ الذَّقْنَ هَاهُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْوَجْهِ، وَقَدْ يُعْبَرُ بِالشَّيْءِ عَمَّا جَاوَرَهُ وَبَعْضُهُ عَنْ جَمِيعِهِ. فَيُقَالُ: خَرَّ لَوَجْهِهِ سَاجِدًا وَإِنْ كَانَ لَمْ يَسْجُدْ عَلَى خَدِهِ وَلَا عَيْنِهِ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: خَرَّ صَرِيحًا عَلَى وَجْهِهِ وَيَدِيهِ. الثَّانِيَّةُ - قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَبْكُونَ) دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢٥٠).

(٢٤٧) سورة الإسراء ١٠٩ .

(٢٤٨) تفسير البغوي . إحياء التراث ١٦٧/٣، زاد المسير ٥٩/٣ .

(٢٤٩) سورة مريم: ٥٨ .

(٢٥٠) تفسير القرطبي ٣٤٢/١٠، تفسير ابن كثير ١٢٨/٥، اللباب في علوم الكتاب ٤٠٨/١٢ .

. (خَاشِعًا):

ورد لفظ خَاشِعًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خُسْبًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٥١) .

أي: لو أنزل الله عز وجل هذا القرآن على جبل وهو حجر أصم لرأيته يا محمد على قساوته وشدته متدللاً متضرعاً حذراً من ألا يؤدي حق الله عز وجل المفترض عليه .

وقيل: المعنى: (على جبل) على عظمته وشدته وجعلنا فيه ما يميز: لذل وخضع.

ثم قال: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} أي: نمثل لهم لعلهم يتفكرون فيها فيعتبروا ويزدجروا(٢٥٢).

وضرب الله تعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخضع ويلين قلبه(٢٥٣) و «الخاشع» : المتطأطي الخاضع، و «المتصدع» : المتشقق. وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثر في قلبه مع الفهم والعقل(٢٥٤).

.(خَاشِعُونَ):

ورد لفظ خَاشِعُونَ في القرآن الكريم مرة واحدة.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خُشِعُونَ﴾ (٢٥٥).

البغوي: قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} "قَدْ" حَرْفُ تَأْكِيدٍ، وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: "قَدْ" تُقَرِّبُ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَلَاحَ قَدْ حَصَلَ لَهُمْ، وَأَنََّّهُمْ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ تَجْرِيدِ ذِكْرِ الْفِعْلِ، "وَالْفَلَاحُ" النَّجَاهُ وَالْبَقَاءُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ سَعِدَ الْمُصَدِّقُونَ بِالتَّوْحِيدِ وَبَقُوا فِي الْجَنَّةِ. {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْخُشُوعِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُخْبِتُونَ أَذِلَّةٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: خَائِفُونَ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: مُتَوَاضِعُونَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ غَضُّ الْبَصَرِ وَخَفْضُ الصَّوْتِ.

(٢٥١) سورة الحشر ٢١ .

(٢٥٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١/١١/٧٤٠٨، لطائف الإشارات ٣/٥٦٦، تفسير السمعاني ٥/٤٠٨، تفسير البغوي ٥/٦٦ .

(٢٥٣) تفسير ابن عطية ٥/٢٩١، إيجاز البيان ٢/٨١٢ .

(٢٥٤) زاد المسير في علم التفسير ٤/٢٦٤ .

(٢٥٥) سورة المؤمنون: ١، ٢ .

وَالْخُشُوعُ قَرِيبٌ مِّنَ الْخُضُوعِ إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ، وَالْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالْبَصْرِ
وَالصَّوْتِ (٢٥٦).

خاشِعُونَ: خائفون بالقلب، ساكنون بالجوارح. والخشوع في الصلاة بجمع الهمة لها،
والإعراض عما سواها، ومن الخشوع أن لا يجاوز بنظره موضع سجوده (٢٥٧).
روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لقد أنزلت
علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى عَشْرِ آيَاتٍ» (٢٥٨).

(٢٥٦) تفسير البغوي ٤٠٨/٥.

(٢٥٧) إيجاز البيان عن معاني القرآن ٥٨٤/٢، زاد المسير ٢٥٤/٣، مفاتيح الغيب ٢٥٩/٢٣..

(٢٥٨) مصنف عبدالرازق الصنعاني ٣/٣٨٣، مسند أحمد ط الرسالة ١/٣٥١، المنتخب من مسند عبد ابن
حميد، ت صحي ١/٣٤، سنن الترمذي، ت بشار ٥/١٧٩، السنن الكبرى: للنسائي ٢/١٧٠، شرح مشكل
الآثار ١٠/٢٩٤، المستدرک علی الصحيحین للحاکم ١/٧١٧، الدعوات الكبير ١/٣٣١، شرح السنه
للبيهقي ٥/١٧٧، الأحاديث المختاره أو المستخرج من الأحاديث ١/٣٤٢، شرح البخاري
للسفيري ١/١٧٢، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الكبير ١/٢٦١، المسند الجامع ١٤/١١، الجامع
الصغير وزيادته ١/٣٢٦٧، جامع الأحاديث ٧/٧٣.

ابن عباس: { فاستجبنا له } الدعاء { ووهبنا له يحيى } ولدا صالحا { وأصلحنا له زوجته } بالولد { إنهم } يعني الأنبياء ويقال زكريا ويحيى { كانوا يسارعون في الخيرات } يبادرون إلى الطاعات { ويدعوننا رغبا ورهبا } هكذا وهكذا ويقال يعبدوننا رغبا إلى الجنة ورهبا من النار { وكانوا لنا خاشعين } متواضعين مُطِيعِينَ (٢٦٤).

أبو السعود: { وكانوا لنا خاشعين } أي مُخبتين متضرعين أو دائمي الوجل والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة (٢٦٥).

القاسمي: فاستجبنا له أي دعاءه ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجته أي أصلحناها للولادة بعد عقرها، معجزة وكرامة له. وقوله تعالى:

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ تَعْلِيلٌ لِمَا فَصَّلَ مِنْ فَنونِ إِحْسَانِهِ تَعَالَى، المتعلقة بالأنبياء المذكورين، أي كانوا يبادرون في كل باب من الخير. وإيثار (في) على (إلى) للإشارة إلى ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير. لأن (إلى) تدل على الخروج عن الشيء والتوجه إليه ويدعوننا رغبا ورهبا أي ذوي رغب ورهب، أو راغبين في الثواب راجين للإجابة وكانوا لنا خاشعين أي مخبتين متضرعين (٢٦٦).

قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (٢٦٧).

الطبري: يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار (خاشعين من الدل) يقول: خاضعين متذللين (٢٦٨).

الماوردي: وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (خٰشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ)؛ لأن الله - تعالى - أذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم، وأعطوا أنفسهم شهواتهم ومناهم.

قوله عز وجل: { وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا } فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم المشركون جميعاً يعرضون على جهنم عند إطلاقهم إليها، قاله الأكثرون. الثاني: آل فرعون خصوصاً تحبس أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح، قاله ابن مسعود. الثالث: أنهم عامة المشركين ويعرضون

(٢٦٤) تنوير المقباس ١/٢٧٥

(٢٦٥) تفسير أبي السعود ٦/٨٣، فتح البيان ٨/٣٦٨.

(٢٦٦) تفسير القاسمي ٧/٢٢٠.

(٢٦٧) سورة الشورى ٤٥ .

(٢٦٨) تفسير الطبري ٢١/٥٥٢.

على العذاب في قبورهم ، وهذا معنى قول أبي الحجاج^(٢٦٩). {خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ} قال السدي: خاضعين من الذل. {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: ينظرون بأبصار قلوبهم دون عيونهم لأنهم يحشرون عمياً ، قاله أبو سليمان. الثاني: يسارقون النظر إلى النار حذراً ، قاله محمد بن كعب. الثالث: بطرفٍ ذليل ، قاله ابن عباس^(٢٧٠).
. (الْخَاشِعِينَ):

ورد لفظ الْخَاشِعِينَ في القرآن الكريم مرتين منها:

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٢٧١).

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بمعنى الخاضعين ويعني بقوله تعالى: "إلا على الخاشعين" إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته ، المصدقين بوعد ووعيده.
عن ابن عباس "إلا على الخاشعين" ، يعني المصدقين بما أنزل الله.
عن أبي العالية في قوله: "إلا على الخاشعين" ، قال يعني الخائفين .
الطبري: قال: قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم ، وخشعوا له .
وأصل "الخشوع" التواضع والتذلل والاستكانة.
ومعنى الخاشعين في الآية: المتواضعين لله ، والمستكينين لطاعته ، المتذللين من مخافته^(٢٧٢).

الرازي: وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون الموت في كل لحظة ، وذلك لأن كل من كان متوقعا للموت في كل لحظة فإنه لا يفارق قلبه الخشوع فهم يبادرون إلى التوبة ، لأن خوف الموت مما يقوي دواعي الخشية ولأنه مع خشوعه لا بد في كل حال من أن لا يأمن تقصيرا جرى منه فيلزمه التلافي^(٢٧٣) .

(٢٦٩) تفسير الماوردي ٢٠٩/٥ .

(٢٧٠) السابق ٢١٠/٥ .

(٢٧١) سورة البقرة ٤٥ .

(٢٧٢) تفسير الطبري ، جامع البيان ، ١٧ ، ١٦ / ٢ .

(٢٧٣) تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٥٣/٣ ، ٥٤ . تفسير ابن كثير ٢٥٣/١ ، تفسير البحر المحيط

ابن كثير: الخاشعين: اللذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ، أي: (يعلمون أنهم) محشورون إليه يوم القيامة ، معرضون عليه ، وأنهم إليه راجعون ، أي أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء ، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات (٢٧٤) .

والخاشعون: المتواضعون المخبتون ، والخشوع هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع (٢٧٥) .

. (خُشَعًا):

ورد لفظ خُشَعًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (٢٧٦).

السمعاني: وَقَوْلُهُ {خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ} أَي: خَاشِعَةً أَبْصَرَهُمْ، يَعْنِي: ذَلِيلَةً (٢٧٧).

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "خَاشِعَةً أَبْصَرَهُمْ" أَي: ذَلِيلَةً خَاضِعَةً عِنْدَ رُؤْيَةِ الْعَذَابِ (٢٧٨).

متعلق بالبصر .

. (خَاشِعَةً):

ورد لفظ خَاشِعَةً في القرآن الكريم خمس مرات منها:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي

أَحْيَاهَا لُمُحْيٍ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٧٩).

متعلق بخشوع الأرض .

قال تعالى: ﴿خُشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً وَقَد كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ (٢٨٠).

(٢٧٤) تفسير القرآن العظيم ٢٥٤/١ .

(٢٧٥) تفسير التعلابي ٢٣٢/١ . فتح الرحمن في تفسير القرآن ٩٥/١ .

(٢٧٦) سورة القمر: ٧ .

(٢٧٧) تفسير السمعاني ٣٠٩/٥ ، تفسير ابن كثير ٤٧٦/٧ .

(٢٧٨) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ٣٦٩/٢ .

(٢٧٩) سورة فصلت ٣٩ .

(٢٨٠) سورة القلم ٤٣ .

(خاشعة أبصارهم) حال من ضمير يدعون ونسبة الخشوع إلى الأبصار وهو الخضوع والذلة لظهور أثره فيها (ترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) شديدة وحسرة وندامة وصغار (وقد كانوا) في الدنيا (يدعون إلى السجود) دعوة تكليف (٢٨١).

. (الْخَاشِعَاتِ):

ورد لفظ الْخَاشِعَاتِ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٨٢).

ورد في سبب نزول هذه الآية روايات منها: ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما، عن أم سلمة- رضی الله عنها- قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلا نداؤه على المنبر، وهو يتلو هذه الآية: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ....

وأخرج الترمذي وغيره عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية. وأخرجه ابن جرير عن قتادة قال: دخل نساء على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقلن: قد ذكرن الله- تعالى- في القرآن، وما يذكرنا بشيء أما فينا ما يذكر، فأنزل الله- تعالى- هذه الآية (٢٨٣). والمعنى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْإِسْلَامَ: الانقياد لأمر الله- تعالى- وإسلام الوجه له- سبحانه- وتفويض الأمر إليه وحده.

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْإِيمَانَ: هو التصديق القلبي، والإذعان الباطني، لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالْقَنُوتِ: هو المواظبة على فعل الطاعات عن رضا واختيار. وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصِّدْقِ: هو النطق بما يطابق الواقع، والبعد عن الكذب والقول الباطل..

(٢٨١) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٤/٢٧٥، تفسير القاسمي ٩/٣٠٣، تفسير المراغي ٢٩/٤٠، التفسير

الحديث ١/٣٨١.

(٢٨٢) سورة الأحزاب ٣٥ .

(٢٨٣) التفسير الوسيط للطنطاوي ١١/٢١٠.

وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالصَّبْر: هو توطين النفس على احتمال المكاره والمشاق في سبيل الحق، وحبس النفس عن الشهوات.

وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْخُشُوعَ: صفة تجعل القلب والجوارح في حالة انقياد تام لله - تعالى - ومراقبة له، واستشعار لجلاله وهيئته.

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالْتَصَدُق: تقديم الخير إلى الغير بإخلاص، دفعا لحاجته، وعملا على عونه ومساعدته.

وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالصُّومَ: هو تقرب إلى الله - تعالى -، واستعلاء على مطالب الحياة ولداندها، من أجل التقرب إليه - سبحانه - بما يرضيه.

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَحَفِظَ الْفَرْجَ: كناية عن التعفف والتطهر والتنصون عن أن يضع الإنسان شهوته في غير الموضع الذي أحله الله - تعالى - . وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ وَذَكَرَ اللَّهُ - تعالى - يتمثل في النطق بما يرضيه كقراءة القرآن الكريم، والإكثار من تسميحه - عز وجل - وتحميده وتكبيره..

وفي شعور النفس في كل لحظة بمراقبته - سبحانه - .

هُؤَلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ أَعَدَّ اللَّهُ - تعالى - لَهُمْ مَغْفِرَةً وَاسِعَةً لِدُنُوبِهِمْ وَأَجْرًا عَظِيمًا لَا يَعْلَمُ مَقْدَارَهُ إِلَّا هُوَ - عز وجل - (٢٨٤).

{وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: المتواضعين والمتواضعات ، الثاني: الخائفين والخائفات: الثالث: المصلين والمصليات (٢٨٥). وَيُقَالُ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْخُشُوعِ هُوَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ أَلَّا يَعْلَمَ مِنْ عَلَى يَمِينِهِ وَلَا مِنْ عَلَى يساره (٢٨٦).

ومن خلال الدراسة ظهر لي أن الخشوع نوعان :

الأول :خشوع المسلمين في الدنيا والآخرة ،خشوع القلب والصوت وخشوع في الصلاة
وخشوع البصر .

(٢٨٤) السابق ١١ / ٢١١ . صفوة التفسير ٢ / ٤٧٦ .

(٢٨٥) تفسير الماوردي ٤ / ٤٠٣ .

(٢٨٦) تفسير السمعاني ٤ / ٢٨٣ .

الآخر: خشوع العصاة والكفار والمشركين في الآخرة خشوع في البصر وفي الوجوه فقط لا يعرفون الخشوع في الدنيا ولكن يخشع بصرهم وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: (خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ) (٢٨٧)؛ لأن الله - تعالى - أذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم، وأعطوا أنفسهم شهواتهم ومناهم، أي يوم يخرجون من قبورهم إذا دعاهم الداعي لموقف الحساب ، فإذا جاء وعد الله سبحانه .. هلعت قلوبهم، وانشقت مرائرهم، واضطربت نفوسهم، وخشعت أبصارهم من هول ذلك المشهد العظيم .

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت تسع ألفاظ وردت في ستة عشر آية توزعت في الجدول الآتي:

م	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	خشعت	١	سورة طه ١٠٨
٢	تخشع	١	سورة الحديد ١٦
٣	خشوعا	١	سورة الإسراء: ١٠٩ .
٤	خاشعا	١	سورة الحشر: ٢١ .
٥	خاشعون	١	سورة المؤمنون: ٢ .
٦	خاشعين	٥	سورة البقرة: ٤٥ . سورة آل عمران: ١٩٩، سورة الأنبياء: ٩٠، سورة الأحزاب: ٣٥، سورة الشورى: ٤٥ .

سورة القمر: ٧.	١	خشعا	٧
سورة فصلت: ٣٩، سورة القلم: ٤٣، سورة المعارج: ٤٤، سورة الغاشية: ٢.	٥	خاشعة	٨
سورة الأحزاب: ٣٥.	١	الخاشعات	٩

